

خالد بيومى

محطات من القوة الناعمة للثقافة العربية

دراسة

الطبعة الأولى ديسمبر 2020

بطاقة الكاتب

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب	محطات من القوة الناعمة للثقافة العربية
المـــؤلـــف	خالد بيومى
التـصـنـيـف	مقالات
رقم الإيـــداع	2020 - 23120
الترقيم الدولى	978-977-6835-59-7
رقم الإصدار	664 الطبعة الأولى 2020
عدد الصفحات	84 صفحة
الإخراج الفنى	مؤسسة النيل والفرات

رخصة مزاولة مهنة:58365 - سجل تجاري: - 13242 / 2017 - بطاقة ضريبية: 35-01-572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف:01011256943 - 01116202218 - 01202541192 تليفاكس:020554372901
nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات
alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat
المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة 13 - امام سنتر الـ13 - عقار 304

مسابقة
فارس الإبداع العربى

الدورة 1

مسابقة سنوية برعاية مؤسسة النيل والفرات وجريدة صدى المستقبل

رئيس مجلس إدارة مؤسسة النيل والفرات
ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس إدارة منظمة صدى المستقبل
د.إبراهيم عبد الحميد

المشرف العام
أشـرف بـديـر

المدير العام
د.أمانى إبراهيم

المدير الفنى
سميرة محمودى

رئيس لجنة التحكيم
عبد العزيز بندق

لجنة التحكيم

د محمد فتحى محمد فوزى

كاظم العطشان — سليمة القزيرى
عبد المجيد بطالى — رضا أبو الغيط
د.حمدى عيسى الطيرة — إيهاب همام

(المثالية الجامحة) (المبدع لا ينتمي)



الكتابة هى المثالية الجامحة التى ولدت من رحم المعاناة الذاتية للمبدع تحوى القيم التى تدور جذورها فى فلك عقله وهى وريثته الشرعية لكينونته الآدمية .. تجمع تأثيرات الحياة الإنسانية وترصد عقلانية نظرته لظواهر الحياة المتنوعة ...فالمبدع الحقيقى يغوص فى أعماق ذاته باحثاًعن إجابة على أسئلة لم تطرح يفهم نشوء وجوده وارهاصات الحياة الاولى وغير ذلك تصبح الكتابة مجرد حفنه كلمات لثرثرة فارغة .



(المبدع لا ينتمى .. وإنما يُنْتمى إليه) انطلقت مسابقة فارس الإبداع العربى من هذه القاعدة لتقدم مبدعا محررا من القيود التقليدية التى تعرقل إبداعاته فنجحت واحتلت المركز الأول عربيا والرابع عشر عالميا لتقدم مبدعا لا إبداعا يستطيع أن يرسم خارطة وطنه بفكر حر دون أية ضغوط تعوقه ، أو رقابة تنال منه ليحقق لقبا خالصا يستحقه عن جدارة هو فارس الإبداع العربى فى نسخته الأولى 2020 مليون مبارك للفائزين

فوز مستحق لمبدع كبير



بقلم الأديب المستشار

أشــرف بــديــر

المشرف العام وأمين عام المهرجانات

لم تكن مسابقة فارس الإبداع العربي التي أقامتها مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع بمصر ومنظمة صدى المستقبل الإعلامية الليبية ، لم تكن مجرد مسابقة أدبية عادية، بل كانت مسابقة أدبية عربية دولية، تنافس فيها أطياف من المبدعين العرب، كل في مجال إبداعه، لذا دنت أعداد المشاركين من الألفي مشارك، وانطبقت معايير المسابقة وشروطها على ما يقرب من سبعمائة مبدع، ثم أفرزت لجان التحكيم من فاز بالمراكز الأولى حتى الثالثة بما يقرب من الخمسين مبدعا في كافة مجالات المسابقة، فضلا عن كونهم من القامات الأدبية العربية السامقة، ذلك ما أهل المسابقة لأن تكون الأولى عربيا وضمن العشر مسابقات دولية في مجال الأدب العربي..لذا ، عندما يفوز أي عمل في تلك المسابقة فإن هذا يؤكد جدارته، حيث مر بعدة مراحل من مراحل المسابقة، فقد مر على لجان المراجعة، ثم على لجان التحكيم، ثم على اللجنة العليا للمسابقة.. من هنا كان هذا العمل الذي بين أيدينا (الفائز بلقب فارس الإبداع العربى) مثارا للفخر للقائمين على المسابقة قبل أن يكون كذلك بالنسبة لمؤلفه، فهنيئا لكم إخوتنا وأخواتنا أساتذتنا المبدعين لهذا الفوز المستحق، ومزيدا من النجاح والتقدم..

تقديم



بقلم الأديب الباحث

د. محمد فتحى محمد فوزى

عضو لجنة تحكيم المسابقة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله: فهذا الكتاب الذى بين أياديكم البيضاء الآن لمؤلفه - والفائز بالمركز الأول من مسابقة " فارس الإبداع العربى" لعام 2020م-1441هـ. هو كتاب شامل لعلماء عديدين على مختلف مشاربهم ودراساتهم وطوائفهم، وقد اخترناه لثرائه في مجال السيروالتراجم الأدبية من الدراسات الإجتماعية ،ولا غنى للقارىء الكريم عنه ؛ فإختياره جاء موفقاً للعلماء الذين إنتقاهم وتحدث عنهم بإسلوب صحفى سلس يفهمه الجميع ،من الكبير إلى الصغير ،ومن المُثقف إلى القارىء البسيط ، يحتاجه المجتمع في وقتنا الحاضر؛ فقد سرد لنا تراجمه ببراعة تدل على حنكة ودراية بالكتابة ودهاليزها ،ومكامن جذب القُرَّاء إليها ، ومن وجهة نظرى المتواضعة أنه نوَّع وشكَّل مواضيعه ما بين علماء التاريخ، والجغرافية، وشعراء العامية، وإرتباطاتهم بملحمة إنشاء السد العالى، وما نجم عنه من تشغيل العمالة المصرية في أسوان ، وانتقل بنا إلى الفرق بين المعاجم وبعضها البعض... وهكذا كان الكتاب من كل بستان زهرة.

إهداء

إلى زوجتي رفيقة الدرب

وأبنائي: رؤى وأنس وديمة

خالد بيومى

مقدمة

يقول التاريخ إنه لا يوجد أمة عاقبت السائلين على أسئلتهم مثل الأمة العربية، حيث واجهت الفقهاء والشعراء والحكماء والفلاسفة بالمعتقلات والسجون والنفي وإحراق الكتب والاغتيال، بسبب أسئلتهم الفكرية أو العقائدية الجريئة والمحرجة أو المنكرة لقيم معينة. وفد تبوأت الأمة العربية مكانتها اللائقة خاصة في حقبة الستينيات عندما كان هناك اهتمام بالقوة الناعمة للأمة والمتمثلة في الثقافة والفنون.

ويقول التاريخ أيضا، إن الثقافة العربية ولفترة طويلة من الزمن، كانت ثقافة أجوبة، مع أن الثقافة في مفاهيمها وقيمها هي مهد السؤال، هي محرك الباحث عن المعرفة، هي المدون والمقوم لمعاني الإجابة.

ويقول التاريخ أيضا، إن التضييق على السؤال في الثقافة العربية ونفي أصحابه وحرق كتبهم ومنعهم من الاشتغال بمعارفهم واغتال بعضهم، جعل التأمل العقلي العربي يبتعد ليحط رحاله خارج الخريطة العربية.

في المفاهيم والقيم الثقافية، يعد السؤال من أهم الأدوات العلمية والمعرفية، هو طريق الحقيقة وتبديد الجهل، هو المعرفة التي تباينت حولها الآراء واختلفت بشأنها المذاهب، هو طريق المعرفة الذي يصل إلى الحلول التي يصعب إدراكها. من خلاله تتم صناعة الأجوبة التي تحتاجها الثقافة والعلوم والمعارف.

المثقفون، المبدعون، العلماء، الموهوبون بجمالية التحديق المختلف والمغاير للأشياء، يدركون خطورة التوافق مع السائد والمعتاد والنمطي على الإبداع والمعرفة والفكر، لذلك يكون السؤال حتميا لإخراجهم من حالة القلق والتيه والتحيزات الجاهزة والمسبقة.

إن هذه الفصيلة من المثقفين الحكماء، تجد سلامتها الشخصية وأمنها الاجتماعي عندما تصل إلى السؤال الذي يشفي غليلها ويقودها إلى المعرفة الحق، لذلك لا يمكن إدراك أهمية السؤال دون إدراك كنه المعرفة. السؤال هو طريق الحقيقة وتبديد الجهل، هو طريق المعرفة التي تتباين حولها الآراء وتختلف بشأنها المذاهب.

في هذا الكتاب نحاور أفكار بعض أساطين الثقافة العربية واختبار مدى صلاحيتها لعصرنا . أتمنى لكم قراءة ممتعة.

خالد بيومي

جمال حمدان .انطلق من الجغرافيا إلى التاريخ

يعد جمال حمدان (1928 – 1993) أبرز أعلام الجغرافيا في القرن العشرين ،أضاء بفكره المستنير ونظرته الثاقبة للأمور دروب أمته ،أفنى عمره باحثاً عن ينابيع العبقرية في الشخصية المصرية بدأت رحلته عام 1948 برسم خرائط مختلفة لجغرافيا مصر ، وزينت مدرسة التوفيقية بأعماله، ثم انتقل إلى بريطانيا عام 1949 حصل على الدكتوراه في فلسفة الجغرافيا من جامعة " ريدنج" عام 1953 ا وكان عنوان أطروحته" سكان وسط الدلتا قديما وحديثاً" ولم تترجم رسالته حتى وفاته.وتعرف هناك على الخلفية الفكرية والثقافية في الغرب ، وتعلم عدة لغات وكانت خلاصة ثقافته هي ثقافة العصر التي استطاع أن ينقل بها إلى مصر.مزج الجغرافيا بالاقتصاد بالتاريخ لينتج مزيج ثقافي له خصوصيته وتفرده يحكمه فكر ممزوج بثقافة وطنية، حتى استطاع أن يرسم صورة واضحة الملامح للوطن العربي من خلال كتابه الفذ" شخصية مصر..دراسة في عبقرية المكان" الذي ظهرت طبعته الأولى عام 1967 . جاءت الصياغة النهائية للكتاب فى أربعة أجزاء 1981 إلى 1984، كأنه يعيد كشف مصر أمام نفسها أولاً ،ورسم صورة لكيفية تحكم النيل في المجتمع المصري ، كما رسم صورة للسياسات الاستعمارية ، وبين فيها الجذور التاريخية للمجتمع الصهيوني ، مبيناً أنها جذور تضليلية ، لا علاقة لها بالتوارة. وهو الذي كان يكرر: "إن ما تحتاجه مصر أساسا إنما هو ثورة نفسية، بمعني ثورة علي نفسها أولا، وعلي نفسيتها ثانيا.. أي تغيير جذري في العقلية والمثل وأيديولوجية الحياة قبل أي تغيير حقيقي في حياتها وكيانها ومصيرها ...ثورة في الشخصية المصرية وعلي الشخصية المصرية ... ذلك هو الشرط المسبق لتغيير شخصية مصر.. وكيان مصر.. ومستقبل مصر".

كانت نكسة يونيو 1967 هي التي فجرت شرارة ملحمته الكبرى" شخصية مصر" ،فقد صدمته الهزيمة وهزت كيانه . وكان قد تنبأ بوقوع هذه الهزيمة في مقال له بعنوان(هل تملك إسرائيل سلاحاً ذرياً؟) وذلك عام 1965 . ولم يكن ممن يستسلمون للإحباط أو فقدان الثقة .

وبعد عودته من البعثة عمل أستاذا مساعداً بقسم الجغرافيا بكلية الآداب جامعة القاهرة ،وأصدر خلال هذه الفترة كتبه الثلاثة الأولى وهي: " جغرافيا المدن"،و" المظاهر الجغرافية لمجموعة مدينة الخرطوم المدينة المثلثة "و" دراسات عن العالم العربي"وحصل على جائزة الدولة التشجيعية عام 1959 تقديراً لإنجازه هذه الكتب.ثم تقدم حمدان لنيل درجة أستاذ ، وأقرت اللجنة العلمية ترشيحه مع أستاذ جامعي آخر ، حيث كان هناك درجتان تقدم لهما أربعة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة. ورأى حمدان أن مساواته بزميله إهانة له ولإنتاجه العلمي ،وأنه كان يجب أن تقوم اللجنة بوضع ترتيب بين المرشحين يوضح أهمية أبحاث ودراسات كل منهم.فتقدم باستقالته التي لم تقبلها الجامعة إلا بعد عامين ، وحاول زملاؤه إقناعه بالعدول عن قرار الاستقالة لكنهم فشلوا ، وفرض على نفسه عزلة اختيارية ، في شقته بالدقي التي كانت مكونة من غرفة واحدة، وتفرغ لدراساته وأبحاثه.

عاش عاشقا ومتيماً بمصر والمصريين وكانت مصر تمثل له ملتقى الشرق والغرب،وهي التي تجمع في تناسب نادر بين العزلة في غير تقوقع والاحتكاك الذي لا يصل إلى حد التميع،لذلك احتفظت مصر بكيان وشخصية قوية. وكان حمدان يرى أن الغرب وإن اعتبر نفسه أستاذنا اليوم فهو تلميذنا بالأمس ،وأن عطاء مصر الحضاري أثر كثيراً في حضارة أوروبا والعالم.

لم يعد علم الجغرافيا عند جمال حمدان هو ذلك العلم الذى يتعامل مع الإحصائيات والأرقام والمعلومات بشكل جامد.

ولم تعد مادة الجغرافيا هى تلك المادة التي يكرهها الطلاب ولا يعرفون حقاً ما الفائدة من دراستها وما فائده معرفة هذه التضاريس الجامدة والخرائط الصامتة.

بل أصبحت روح تتنفس وأوضاع سياسية واجتماعية وإقتصادية تتحرك على الأرض أمامنا بفعل هذه التضاريس أو ذلك الموقع أو مرور ذلك النهر.

كان الرئيس جمال عبد الناصر يعتبر جمال حمدان جزءاً من المشروع التنويري ، وبعد رحيل عبد الناصر عاني حمدان التهميش والإهمال ولم يهتم أحد بمشروعه.

فإن كان هيردوت رأى أن مصر هبة النيل، فإن حمدان أكد وأرخ بأن مصر هبة المصريين ولقد قدم فى هذا الإثبات الكثير من الأدلة والبراهين العلمية الناصعة، بل إن حمدان هو أول مؤرخ صاحب رؤية مستقبلية أثبتت الأيام بعده عافيتها ودقة أبعادها مستخدما فى ذلك منهاجا يعتمد على الدمج وصهر الجغرافيا بالتاريخ بالإنسان فى بوتقة واحدة تظللها روح الفلسفة، لتثمر لنا رؤية ثاقبة وصياغة محكمة تكشف أبعاد الجوانب السياسية .

من الجغرافيا انطلق حمدان إلى التاريخ ومنهما حدد مواقفه الثابتة، وحين وقف بشكل معلن ضد اتفاقيات "كامب دافيد"، لم يكن يعبر عن موقف سياسي آني أو مرحلي، بل كان ينطلق من ثابت جغرافي عنده، لأنه اتهم هذه الاتفاقيات بأنها تقزم دور مصر القومي ، فالجغرافيا عند حمدان كالتاريخ لا تعيد نفسها بالضبط، ولا الإقليم يكرر نفسه، ومن ثم فلا قانون للإقليم من حيث هو، ولذلك فإن دراسة الإقليم لا تقتصر على الحاضر، وإنما تترامى إلى الماضي وخلال التاريخ ، وهو يقول عن سيناء:" تحتمس الثالث عبر سيناء 17 مرة"، ويستنتج عبرة التاريخ فيؤكد على أنه لا حل بالنسبة لسيناء إلا تعمير شامل، أن تكون مليئة بالبشر، أسمع بن جوريون يقول: هدف إسرائيل ليس البقاء فى سيناء ولكن منع مصر من البقاء فيها.

فحمدان كان لديه من القدرة والتمكن والشجاعة ما أن يمكنه من رؤية العالم أجمع بقواه المتصارعة وتناقضاته المختلفة بحثا فقط عن تحقيق المصالح فكان كتابه " إستراتيجية الاستعمار والتحرير" والذى خرجت طبعته الأولى فى العام 1984 والذى قدم فيه رؤيته للصراع الذى يعيشه العالم والذى يتمزق بين الأيديولوجيات المتصارعة وقوى التحرر المتنامية ورواسب الماضى المتربصة، وهذه التطورات العميقة التى يشهدها العالم حاليا من توزيع القوى والأوزان السياسية بين الدول والكتل والقارات، وهذه الانقلابات الكاملة فى الإستراتيجية الكوكبية فى ظل العصر النووى، كما أكد حمدان بهذا الكتاب أهمية البعد التاريخى كمدخل لأى دراسة علمية جادة وعميقة لواقعنا السياسى الإستراتيجى المعاصر، فهو يرى" أن التاريخ هو معمل الجغرافيا، وهو كذلك المخزون الإستراتيجى الذى لا ينضب وكلا منهما يستمد منه خامته ويجرى عليها تجاربه ".

وقد أثبت في كتابه(اليهود أنثروبولوجياً) الصادر عام 1967 ،بالأدلة العلمية أن اليهود المعاصرين الذين يدعون أنهم ينتمون إلى فلسطين ،ليسوا أحفاد اليهود الذين خرجوا من فلسطين قبل الميلاد ،وإنما ينتمي هؤلاء إلى إمبراطورية "الخرز التترية" التي امتدت ما بين بحر قزوين والبحر الأسود ،واعتنقت اليهودية في القرن الثامن الميلادي ،وهو ما أكده بعد ذلك بعشر سنوات " آرثر كويستلر" صاحب كتاب" القبيلة الثالثة عشرة " الصادر عام 1976.

فلقد أكد حمدان باختصار أن العالم العربى أصبح فاعلا بعد أن كان مفعولا به فلأول مرة يصبح مصير المنطقة معلقا بقواها الداخلية وإراداتها الذاتية أكثر مما هو متعلق أو مرتبط بعوامل وقوى من خارجها،

كما أن هذه الحرب لم ترد إسرائيل وحدها إلى حجمها الطبيعى ، بل جعلت للعرب مركزا تفاوضيا أقوى بكثير مما كانوا عليه من قبل، وهذه الحرب وهذا النصر العسكرى لا يمكن أن نغفل له نتائجه على السياسة والنفسية العالمية أيضا،

فهذه الحرب على اختلاف النظر لنتائجها لا شك قد أعادت للعرب قدرا هائلا من الثقة كانوا فى أشد الحاجة إليه كان غائبا عنهم منذ الهزيمة المهينة فى 1967 وصنعت للعرب هيبة دولية ومكانة مرموقة، فحرب أكتوبر كانت بمثابة بعث وميلاد جديد للعرب نسجت صورة جديدة قلبت كل التوازنات والأوضاع.

كيف يحضر الأدب العربي في إسرائيل؟

بدأ الاهتمام بالثقافة العربية لدى الدوائر الصهيونية في فلسطين عقب إنشاء مدرسة الدراسات الشرقية مع المعاهد الأولى في الجامعة العبرية بالقدس عام 1926 .وتم التركيز على تدريس اللغة العربية القديمة والحضارة الإسلامية والدين والفلسفة والفن وعلم الآثار والتاريخ القديم للإسلام والبلدان الإسلامية،وفي النصف الثاني من القرن العشرين تم إدخال اللغة العربية والأدب العربي ضمن حلقة الدراسة،بالإضافة إلى اللغتين التركية والفارسية.وفي العام 1962 تم تدشين معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بالجامعة العبرية في القدس ويمنح المعهد الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها،وتحتل الدراسات العربية مركز الصدارة في المعهد .كما يوجد قسم للغة العربية وآدابها وقسم للتاريخ العربي والإسلامي في جامعة حيفا .كما يوجد أقسام متخصصة للتاريخ العربي وللأدب العربي بكافة مراحله في جامعة تل أبيب.

وكانت الفرصة متاحة للإسرائليين للقيام بدراساتهم عن الثقافة العربية والإسلامية في العالم العربي بسبب ظروف الصراع العربي الإسرائيلي والنزاعات المستمرة،واستفادت إسرائيل من هجرة يهود البلاد العربية والإسلامية إلى إسرائيل بعد قيام الدولة عام 1948 مما أتاح لهم مخزونا هائلا من الخبرات البشرية التي عاشت لقرون عديدة في هذه البلاد وتجيد لغة وثقافة هذه البلاد.كما أن خضوع عدد كبير من عرب فلسطين " عرب إسرائيل" للسلطة الإسرائيلية بعد حرب 1948 وخضوع عدد كبير آخر من الضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب 1967 للاحتلال الإسرائيلي ،مما أتاح للباحثين والأكاديميين الإسرائيليين فرصة الاهتمام بعمل أبحاث ودراسات في مجال علم الاجتماع والتاريخ الاجتماعي

ودراسة اللهجات العربية والتقاليد والعادات والفلكلور.كما تضم المكتبات الإسرائيلية مجموعة مميزة من الكتب والمخطوطات العربية القديمة والجديدة و كل ما يصدر في العالم العربي من إصدارات،كما قام عدد من المستشرقين الأوروبيين من أصول يهودية بإهداء مكتباتهم الغنية للمكتبة القومية في جامعة القدس ، من أبرزهم المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر.

وتعد اللغة العربية أحد مشاغل السياسة الخارجية الإسرائيلية سواء في وقت الحرب أو وقت السلام ،كما أن الإعلام الإسرائيلي كان في حاجة إلى أجيال من المترجمين والمعلقين والمحللين لأن أخبار العالم العربي تحتل مكانة مهمة في وسائل الإعلام الإسرائيلية.

كما أن معرفة اللغة العربية تشكل عنصراً أساسياً في الدراسة المعمة للعبرية ؛نظرا للتقارب بين العبرية والعربية ولأصلهما اللغوي المشترك كلغات سامية.ولا يمكن دراسة العبرية والتوراة والأدب العبري القديم دون الإلمام بالعربية ،كما أن التاريخ اليهودي وثيق الارتباط بالتاريخ العربي؛لأن قسماً كبيراً من اليهود عاش في بلدان تتحدث بالعربية لحقبة طويلة من الزمن مثل الأندلس في العصور الوسطى حيث كان للحضارة العربية عميق الأثر في الشعر والفلسفة وغيرها من فروع الثقافة العبرية.

وقد ترجمت معاني القرآن الكريم إلى العبرية لأول مرة عام 1857وأنجزها تسفي حييم راكونورف أستاذ اللغات السامية بجامعة هايدلبرج الألمانية،ثم أعقبتها ترجمة يوسف ريفلين 1890- 1971 أستاذ العربية والعبرية في الجامعة العبرية في القدس وقد صدرت هذه الترجمة عام 1936 وأعيدت طباعتها عام 1963 ،كما قام ريفلين بترجمة سيرة ابن هشام للعبرية وترجم مختارات من شعر عنترة بن شداد،وترجم كتاب ألف ليلة وليلة بالكامل في ثلاثين جزءاً خلال السنوات(1947- 1971).

وفي العام 1972 صدرت ترجمة أخرى لمعاني القرآن الكريم لأهارون بن شيمش متبعاً طريقة فريدة في الترجمة،أعاد بها تقسيم الآيات،بأن ترجم كل خمس آيات معاً دفعة واحدة،دون مراعاة للتقسيم المعتمد للآيات في القرآن . ,وأنجز إبراهيم المالح (1885-1967) ترجمة كتاب" كليلة ودمنة" لابن المقفع.كما تمت ترجمة كتاب"المنقذ من الضلال" للإمام الغزالي عام 1965 ،ومقدمة ابن خلدون عام 1966 على يد إيمانويل كوفبلفيتش،وكتاب " أنساب الأشراف" للبلاذري،وتحقيق كتاب" أدب المريدين"لأبي نجيب عبد القاهر السهروردي ،و" حوار مع أدب الصوفية،عيوب النفس ومداواتها"،و" ذم الدنيا" لأبي الدنيا،و" الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان" لجلال الدين السيوطي،وكتاب" جوامع آداب الصوفية" للسلمي،وكتاب" فضائل بيت المقدس"لأبي محمد بن محمد الواسطي. كما قام أشير جورين بترجمة مختارات من المعلقات وقصائد من الشعر الجاهلي والأموي والعباسي والأندلسي عام 1970 تحت عنوان" أشعار العرب".

وهذه القائمة تكشف إلى حد كبير مدى اهتمام دوائر دراسة الأدب والثقافة العربية القديمة في إسرائيل، من خلال ترجمة العديد من أمهات الكتب في التراث والفكر العربي القديم إلى العبرية ،مع كتابة مقدمات وافية عن العمل المترجم تكشف إلى حد كبير عن مدى تعمق هؤلاء المتخصصين في دراسة وفهم هذه الأعمال التي اختاروها للترجمة ،وعن جهد استشراقي إسرائيلي مبكر.

وإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الترجمات العبرية للأدب العربي الحديث والمعاصر،فسوف نجد أن الاهتمام بالأدب العربي الحديث ،وهوأدب حديث النشأة إلى حد ما،حيث تعود نشأته إلى القرن التاسع عشر في مجال الشعر،وتعود نشأة الأدب النثري فيه إلى الربع الأول من القرن العشرين،هذا الاهتمام وجد صدى ملموسا لدى الدارسين العبريين اعتبارا من عشرينيات القرن العشرين. وقد ذكر الدكتور طه حسين في مقابلة له مع التلفزيون المصري،

قبل وفاته،أن أول ترجمة لكتاب" الأيام" كانت الترجمة العبرية وأنجزها كابيلوك عام 1931 بعد صدور الجزء الأول من هذا العمل بالعربية بفترة وجيزةوقد استقبلها جمهور القراء العبريين بحفاوة شديدة،وألحق جزء من هذه الترجمة في بعض الكتب الدراسية التي تدرس في المدارس العبرية.وفي عام 1953 ترجم شموئيل رجولانت مختارات من قصص محمود تيمور تحت عنوان "إلى جنة عدن" وتضم ثلاثة عشر قصة تصف حياة الشعب في الأحياء الفقيرة بالقاهرة بالإضافة إلى خمس قصص قصيرة لأدباء لبنانيين أمثال توفيق عواد وميخائيل نعيمة.

وقد اهتم الصهاينة بترجمة الأعمال الروائية للكتاب المصريين المشهورين؛لأن الرواية تقدم صورة شاملة للمجتمع أكثرمن كافة أجناس الأدب الأخرى وكان توفيق الحكيم على رأس هؤلاء الأدباء الذين حظوا بهذا الاهتمام ولما كانت له من شهرة باعتبارأنه كان أشهر كتاب الدراما والرواية في مصر في حقبة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين وقد ترجمت له في البداية إلى العبرية بعض مسرحياته القصيرة . وقد أجريت مفاوضات معه عام 1947 لعرض بعض هذه المسرحيات على خشبة المسرح القومي الإسرائيلي "هبيما"،ولكن المفاوضات توقفت بسبب نشوب حرب 1948.وقد ترجم مناحم كابيلوك أولى روايات الحكيم" يوميات نائب في الأرياف"وصدرت بالعبرية عام 1945 ، وبعض قصص لمحمود تيمور ومقال للدكتورة بنت الشاطيء عن الفلاح المصري. والرواية الثانية للحكيم " عودة الروح" التي صدرت في طبعتها العربية لأول مرة عام 1933 ،قام بترجمتها رجولانت إلى العبرية وصدرت عام 1975 تحت عنوان"وشاعت روح أخرى".وترجمت للحكيم أيضا مسرحيته" يا طالع الشجرة" عام 1978 ونقلتها للعبرية دكتورة حنا عاميت كوخابي،أستاذة الأدب العربي الحديث في جامعة تل أبيب .

كما حظي أديب نوبل نجيب محفوظ بنصيب الأسد من الترجمات العربية إلى العبرية حيث ترجمت روايته " زقاق المدق" إلى العبرية عام 1969 تحت عنوان" زقاق في القاهرة" وقام بالترجمة إسحق شرايبر. وفي عام 1970 صدرت ترجمة رواية" اللص والكلاب" وأنجز الترجمة كابيلوك،وصدرت مع الرواية ترجمة لخمس قصص قصيرة لمحفوظ من بينها قصة"الزعبلاوي"،وترجم يواف جبعاتي رواية" الحب والمطر" عام 1977.وقام سامي ميخائيل الأديب اليهودي العراقي الأصل بترجمة الجزء الأول من ثلاثية نجيب محفوظ عام 1981 تحت عنوان" بيت في القاهرة"،و" الشحاذ" ترجمة حنيتا بران،عام 1978،و" ثرثرة فوق النيل" ترجمة ميخائيل سلاع عام 1982 ،و" ميرامار" ترجمة إسحق شينبويم عام 1983 وترجم سامي ميحائيل الجزء الثاني من الثلاثية" قصر الشوق" تحت نفس العنوان السابق" بيت في القاهرة- الجزء الثاني- كمال" عام 1984 ، ثم أنجز ترجمة الجزء الثالث تحت عنوان" بيت في القاهرة- الجزء الثالث".وأخيراً رواية" أولاد حارتنا" ترجمة دافيد سيجف عام 1990 .

كما ترجمت بعض أعمال يوسف إدريس للعبرية مثل رواية" العيب" التي صدرت عام 1970،بالإضافة إلى اثنتي عشرة قصة قصيرة بترجمة طوبيا شموش ،منها: أرخص ليالي، ونظرة، طبيلة من السما،كما ترجمت قصة" جمهورية فرحات" وترجمها ساسون سوميخ.كما صدرت ترجمة رواية" النداهة" لاسحق شينبويم عام 1989. ورروايت يوسف إدريس تتناول واقع الريف المصري وقاع المدينة .كما ترجمت رواية " الجبل" لفتحي غانم عام 1988، بواسطة عامي إلعاد.كما ترجمت رواية" سقوط الإمام" لنوال السعداوي عام 1991 بواسطة راحيل حلبة.كما ترجمت رواية" الحرب في بر مصر" ليوسف القعيد 1988 .

كما ترجمت راحيل حلبة أعمال جبران خليل جبران ,ترجم يهوشع حلميش رواية" أنا أحياء" للكاتبة ليلى بعلبكي 1961، ورواية " طواحين بيروت" 1972 للأديب اللبناني توفيق يوسف عواد والذي لقي مصرعه في الحرب الأهلية اللبنانية عام 1989 ،وصدرت بالعبرية تحت عنوان" الموت في بيروت".كما ترجم قصائد لعدد من الشعراء العرب أمثال: أدونيس ويوسف الحاج،وأنسي الحاج،ونزار قباني ومحمد الماغوط،وعبد الوهاب البياتي، وبدر شاكر السياب،ونازك الملائكة.

ملحمة السد العالي في ديوان "جوابات حراجي القط"

السدّ العالي هو سد مائي على نهر النيل في جنوب مصر، أنشئ في عهد جمال عبد الناصر و قد ساعد السوفييت في بناءه . وقد ساعد السد كثيراً في التحكم على تدفق المياه والتخفيف من آثار فيضان النيل. يستخدم لتوليد الكهرباء في مصر. طول السد 3600 متر، عرض القاعدة 980 متر، عرض القمة 40 مترا، والارتفاع 111 متر. حجم جسم السد 43 مليون متر مكعب من إسمنت وحديد ومواد أخرى، ويمكن أن يمر خلال السد تدفق مائي يصل إلى 11,000 متر مكعب من الماء في الثانية الواحدة. بدأ بناء السد في عام 1960 وقد قدرت التكلفة الإجمالية بمليار دولار شطب ثلثها من قبل الاتحاد السوفييتي. عمل في بناء السد 400 خبير سوفييتي وأكمل بناؤه في 1968. ثبّت آخر 12 مولد كهربائي في 1970 وافتتح السد رسمياً في عام 1971. ولكن أدى السد العالي إلي تقليل خصوبة نهر النيل وعدم تعويض المصبات في دمياط ورأس البر بالطمي مما يهدد بغرق الدلتا بعد نحو أكثر من مائة عام وبسبب بعض العوامل الأخرى مثل الاحتباس الحراري وذوبان الجليد بالقطبين الشمالي والجنوبي بتأثير سلبي من طبقة الأوزون. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول من اشار ببناء هذا السد هو العالم العربي المسلم الحسن بن الحسن بن الهيثم -(ولد عام 965م وتوفى عام 1029م). والذي لم تتح له الفرصة لتنفيذ فكرته وذلك بسبب عدم توفر الآلات اللازمة لبناءه في عهده.

في العام 1955 تقدم باحث يونانى اسمه دانينوس بمشروع لتدشين السد العالي، اقتنع به مجلس قيادة الثورة ، وحظيت فكرة دانينيوس، باهتمام كبير من القيادة كما تولى دراسة المشروع البنك الدولى للإنشاء والتعمير، وأخذ عبدالناصر يبحث عن مصادر لتمويله، وبدأ بعرضه على البنك الدولى للإنشاء والتعمير الذي أكد سلامة المشروع وبدأ الاتحاد السوفيتى يدخل كطرف ثالث وفى سبتمبر عام ١٩٥٥تحركت بريطانيا لتحذير واشنطن من التهديد السوفيتى وأعلنت الخارجية الأمريكية في ١٦ ديسمبر ١٩٥٥

أن كلاً من البنك الدولى وأمريكا وبريطانيا سيمول المشروع غيرأن الشروط جاءت تعجيزية ومجحفة وأثارت غضب عبدالناصر ورفضها ثم قال الأمريكيون بوضوح: نأسف لأننا لن نساعدكم في بناء السد العالى وقد قررنا سحب عرضنا فكان قرار التأميم. وفي عام ١٩٥٩ صدر قرار بإنشاء اللجنة العليا للسد العالى برئاسة المشير عبد الحكيم عامر وتم الترويج إعلامياً للمشروع واستدعاء الخبراء الأجانب وتجميع الدراسات والأبحاث للاستفادة منها كما قام المشير عبدالحكيم عامر بزيارت إلى الاتحاد السوفيتى لتوقيع عقد تمويل السد العالى وحضر خبراء روس منهم خبير اسمه «ماليشيف» وهو الذي بنى سداً كبيرا على نهر الفولجا يشبه (السد العالى).

قام الرئيس جمال عبد الناصر بإطلاق إشارة بدء تشغيل السد العالي بحضور الرئيس العراقي عبد السلام عارف والرئيس السوفييتي خروتشوف .في هذه اللحظة ضغط عبد الناصر الزر الذي فجر 20 ألف طن من الصخور كدفعة أولى كي يبدأ بناء ما وصفته المؤسسات والهيئات العلمية الدولية بأكبر مشروع هندسي في القرن العشرين ..سد يساوي حجمه 17 مرة حجم الهرم الاكبر الذي بناه المصريون بالسخرة للفرعون ليكون ضريحا ونقطة وثوب الى العالم الاخر بينما السد بناه المصريون بإرادتهم الحرة وبعد معركة مع العالم ليكون بعثا للحياة في وداي النيل

كان بناء السد العالي ملحمة ومدرسة شارك فيها 35 ألف مهندس وعامل لمدة 10 سنوات كاملة ، وأصبح رمزاً لإرادة الأمة العربية والعالم الثالث في قهر التخلف ، وهو أيضا معركة لم تنته بعد بمحاولات غربية وصهيونية دؤوبة لتجريد مصر من مزاياه بالتآمر لبناء سدود على النيل في أثيوبيا.

وأصبح السد العالي هو حديث مصر كلها،وأملها الباقي بعد نكسة يوينو 1967 في إعادة الأحلام الي قضت عليها 5 يونيو ،وكان الشاعر عبد الرحمن الأبنودي يرى أن هذا المشروع يمكن أن يغير وجه مصر إلى الأفضل،فقرر زيارة السد والكتابة عنه.فذهب الأبنودي بصحبة صديقيه: سيد خميس وسيد حجاب لزيارة وزارة السد العالي ، ولكن عندما طلبوا من الموظف الذهاب إلى السد العالي ليكتبوا عنه ،قال لهم: لا تتفاءلوا كثيراً،إحنا مش في الاتحاد السوفيتي الذي يرسل الشعراء والكُتَّاب إلى المشاريع القومية،وأنصحكم بألا تحاولوا مرة أخرى،فلن تذهبوا.وبالفعل تم رفض الزيارة،وعاد الثلاثة وقد خاب مسعاهم.

لكن الأبنودي لم ييأس،وقرر أن يذهب بنفسه وعلى نفقته الشخصية كأي مواطن بسيط وحجز تذكرة قطار إلى أسوان التي وصلها بعد يومين ،وبمجرد أن وصل إلى أسوان سأل عن الطريقة التي يذهب بها العمال إلى السد العالي.واستعان بأكثر من ثلاث وسائل مواصلات وصل إلى موقع بناء السد ،وسأل عن المكان الذ يقيم فيه العمال القادمون من قرية أبنود" مسقط رأسه" للمشاركة في بناء السد فدلوه على المكان،ويروي الأبنودي ما رآه هناك بقوله:" عندما وصلت إلى مكان عمال أبنود وجدت العيال اللي كانوا معاي في القرية، وقد كبروا ويعملون في السد،في مكان لم يطرق من أيام الفراعنة،وقعدت معاهم في السد نحو سبع عشر يوماً،وكان أكلنا اليومي(المش) وجبتلهم لحمة مرتين،وكان بيكون معاهم بصل وثوم وملوخية ناشفة وطماطم وحلل،ولم يكن طبعاً فيه (استحمام) فكانوا يملئون صحيفة مياه من النهر ويغتسلون بها،وينتظرون ملابسهم حتى تجف،ولكني أن العمل قد غيَّرهم وأثر على لهجتهم".

ويستطرد الأبنودي فيقول:" بعد تجربة إقامتي في السد العالي،تذكرت(حراجي البسّ) صديقي في الطفولة الذي كان معي في أبنود،وقلت لنفسي لو "حراجي" كان هنا مكان أي واحد من الرجالة دي،هل كان هيتغير؟فقلت أجرب أنقله إلى هذا المكان حتى لو على الورق خصوصاًأن حراجي لم ير السد العالي ،ولم يذهب إليه أبداً".

ويفسر الأبنودي سر اختياره ل" حراجي" ليكون بطلاً لديوانه فيقول:"(حراجي) نسبة إلى الأرض الَحَرجة) وهي الأرض الشراقي الخصبة،وقد كان عريضاً وضخم الجسم،وكنا نلعب معاً،ولكن لعبه كان عنيفا بسبب جسمه،وكان من يأخذ خبطة من حراجي تعلم في جسمه ثلاثة أشهر.

بين المعجم والقاموس والموسوعة

بذل علماء العربية جهدهم في خدمة اللغة،فجمعوا ألفاظها ورتبوهاوفق طرائق متنوعة ومتكاملة تفننوا في وضعها،فنظروا إلى الألفاظ فرأوا أنها تتألف من تسعة وعشرين حرفاً لا يخرج عنها أية كلمة،فاعتمدوا هذا المعيار في حصر اللغة بترتيب هذه الحروف في نظام ثابت،اختلف باختلاف وجهات النظر والغاية،من التأليف المعجمي سعياً منهم إلى تيسير عملية البحث عن مواضع الكلمات ودلالاتها في هذه المؤلفات التي اصطلح على تسميتها بالمعجم.

والمعجم كلمة مشتقة من مادة(عجم) التي يقصد بها في أصل اللغة:العضّ.تقول: عجمت العود أعجمه،إذا عضضته لتعلم صلابته من خوره. وهي أيضا بمعنى الغموض يقول أبو عمرو الشيباني: أعجمت يعني أبهمت.والمراد بالإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لدفع اللبس. ويقول الليث: المعجم: الحروف المقطعة،سميت معجما لأنها أعجمية.فلفظ المعجم بمعنى الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويرتبها بشكل معين.ويورد الفيروزبادي صاحب " القاموس المحيط" في مادة" قمس" أنها تعني" الغوص"،وأن " القاموس" هي (بئر تغيب فيها الدلاء من كثرة مائها).أما القاموس فهو" معظم ماء البحر". ويرى الأكاديمي واللغوي المغربي الدكتور عبد العلي الودغيري أن لفظة" القاموس" انتهى تطورها من حيث الدلالة إلى المعنى الدال على الكتاب الجامع لألفاظ لغة ما مرتبة ترتيبا معينا،فبعد أن كانت كلمة قاموس تعني " وسط البحر أو معظمه،ثم أصبحت علما على كتاب الفيروزآبادي" صارت تعني أخيراً"كل كتاب لغوي يحتوي على طائفة من الكلمات المرتبة والمشروحة".

يجب إذن الفصل بين " قاموس" و"معجم" فيستعمل المصطلح الأول للدلالة على كل كتاب أو تأليف له هدف تربوي وثقافي ويجمع بين دفتيه قائمة من الوحدات المعجمية (المداخل) التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة ويخضعها لترتيب وشرح معينيين .أما مصطلح معجم فيرى الودغيري أنه أنسب للدلالة على المجموع المفترض واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لغوية .

أما الموسوعة فهي قواميس أو معاجم مدونة اشتملت على ضروب من المعارف العامة أو الخاصة غير اللغوية المحضة.وقد بحث بعض اللغويين المحدثين في العلاقة بين القاموس والموسوعة فوجدوا ثلاث مستويات في علاقة القاموس بالمعجم:

الأول: الموسوعة،حيث تقدم معلومات عن العالم أو الكون،أي عن تجربة الجماعة اللغوية في الكون. الثاني: القاموس اللغوي،وهو يقدم معلومات عن اللغة التي تستعملها الجماعة اللغوية.الثالث:القاموس الموسوعي،هو جامع بين المستويين الأول والثاني.

ولم تتمثل قواميسنا العربية القديمة مسارات تطور المعجم اللغوي فظلت حبيسة ما فرضه علماء العربية من حدود صارمة وضوابط شديدة،خشية فساد لغة القرآن وتطرق اللحن إليه وإلى اللسان العربي عموما،وكل قاموس في الغالب يصدر يكون تابعا لما قبله ،حتى القواميس المعاصرة ؛لأنها أخذت مادتها عن القواميس القديمة،مع زيادة بعض الألفاظ التي فرضها التطور الحضاري.

لقد استطاع القاموس المحيط أن يجلب اهتمام الدارسين ويصرف الناس إليه إن صح التعبير عن كتاب الصحاح،وذلك لجمعه بين أمور غاية في الأهمية منها: سعة مادته وقوة استقصائه،والاختصار في الشرح، وتنظيم مادته،فأصبح منذ ظهوره الكتاب الأول في حل القضايا اللغوية،يفسره الاهتمام الكبير الذي ناله الكتاب وما وضع حوله من شروح وحواشي ودراسات فاقت جميع ما وضع حول الكتب الأخرى.

حسن فتحي ..شيخ المعمارين العرب
في القرن العشرين

إنه المهندس المعماري ومخطط المدن العربي المصري الكبير؛ مؤسس المدرسة المعمارية العربية الحديثة،ومدرسة" تكنولوجيا المعمار المتوافقة والمتكاملة" في رؤية شملت كشوف علوم البيئة والجغرافيا والتاريخ والاجتماع ،والثقافة المركبة (اللغة والعقائد والتكوينات الاجتماعية والموسيقى والتشكيل والسلوك) لبناء" الموطن الإنساني" في توافق مع كل من بنية الإنسان النفسية والذهنية والسلوكية،ومع عناصر البيئة الطبيعية،والميراث الثقافي ومتطلبات التطور الحضاري للناس(أصحاب الموطن وسكانه)سعياً إلى استعادة التوافق بين الإنسان وبيئته الطبيعية والاصطناعية أي البيئة بمعناها الحضري والاجتماعي التي يشيدها الإنسان ليسكن فيها ويعمل ويتواصل مع الآخرين ويرفه عن نفسه.وتلك هي الرؤية التي تطورت عبر تطوير حسن فتحي لفماهيمه في الهندسة المعمارية وتخطيط المدن أو المناطق السكنية الحضرية،والتي منحته شهرته في مصر والعالم العربي والإسلامي ،وفي الغرب أيضاً التي منحته لقب " شيخ المعماريين" في القرن العشرين.وأفضل مهندسي عصره،و" فيلسوف العمارة المتوافقة في عصرنا". كانت له وجهة نظر خاصة ترتكز على تراث أمته وتستفيد في الوقت نفسه من إنجازات الآخرين. فالبناء عنده لم يكن مجرد جدران وسقف، بل كان حياة وحضارة، وتراثًا لم يندثر، بل ما زالت روحه حية، وإعدادًا جيدًا لمستقبل متواصل مع هذا التراث تواصلاً جديًّا في غير انقطاع.

ولد حسن فتحي في 23 مارس عام 1900 بالإسكندرية في أسرة من بسطاء الموظفين والتجار،وانتقل مع أسرته في طفولته إلى القاهرة ويقيم في حي الجمالية العتيق،والذي ظل يسكنه طوال حياته،ولم يغادره إلا لسنوات معدودة حين أقام في اليونان في أحد أحياء أثينا القديمة" حي البلاكا"،ودرس في المدارس الحكومية المدنية بعد أن التحق بأحد الكتاتيب في طفولته واستطاع حفظ سبعة أجزاء من القرآن الكريم.وتخرج من مدرسة " المهندسخانة" (كلية الهندسة " بجامعة فؤاد الأول" القاهرة الآن" عام 1925 . وبعد التخرج عمل مهندساً بإدارة البلديات بوزارة الداخلية حتى عام 1930 ،وتم تعيينه كأول " مُعيد " مصري،وأول عضو مصري في هيئة التدريس الحديثة بمدرسة الفنون الجميلة .وفي العام 1930 أوفدته الجامعة في بعثة إلى باريس للحصول على الدكتوراه من جامعتها،وهناك اكتشف توافق العمارة الغربية التقليدية مع الموروث الثقافي السائد ومتطلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والترفيهية ،واكتشف أيضاً أن للعمارة الإسلامية الموجودة في مصر تاريخها الخاص،الذي انقطع في أواخر القرن التاسع عشر،فبدأ كشفه التاريخي للأصول الفنية للعمارة الإسلامية بدءاً من مواد البناء الأولية الطبيعية (الحجارة المنحوتة والصلصال والطفلة والأخشاب) إلى التصميم العام للمباني (المساكن ودور العبادة والقناطر،والمباني العامة إلخ).

وفي العام 1937 وضع حسن فتحي أول تصميم للمباني الريفية من الطين المخلوط بالقش" الطوف" وشرع في الإعلان عن فلسفته في ضرورة نشر هذا النمط من المساكن.وفي العام 1941 دشن أول مجموعة من هذه المباني في حي " بهتيم" شمال القاهرة.وتدرج حسن فتحي في كلية الفنون الجميلة حتى وصل إلى درجة الأستاذية،وصار رئيساً لقسم العمارة بها،ولكنه انشغل بالتجول في أنحاء مصر والعالم العربي لكي يستنبط من المباني أصول تصميم وتنفيذ المعمار المحلي ،ولم تكن مخطوطات التراث المعنية بهذا النوع- إن وجدت- معروف آنذاك.

كان عليه أن يكتشف موهبته في الواقع العملي القائم في قرى الصعيد والدلتا وفي مباني القاهرة الفاطمية والمملوكية وفي مدن: رشيد والإسكندرية ودمشق وجدة وصنعاء وتونس وغيرها.في عام 1946 تم انتدابه من كلية الفنون الجميلة إلى مصلحة الآثار ليتولى تصميم وتنفيذ قرية جديدة لسكان قرية" القرنة" المقابلة لمدينة الأقصر،والتي تم تشييدها فوق جبل القرنة لإنقاذ ما تحت بيوت القرية القديمة من مقابر فرعونية ينهبها سكان القرية ويبيعونها لتجار الآثار.ووضع حسن فتحي أول تصميم كامل للقرية بمنازلها ومرافقها واستدعى زميلاً قبطيا ليضع تصميم الكنيسة في القرية.

ورغم النجاح العلمي والفني المدوي للمشورع عالمياً؛نظراً لشييد مبانيه بالمواد الأولية المتاحة في البيئة المحلية وفقاً لتصميم مستوحى من بيوت بدو وفلاحي صحراء مصر الغربية والصعيد الأعلى، رغم ذلك فقد فشل المشروع عملياً حيث قاومه سكان القرية القديمة ولصوص الآثار بدعم من تجار الآثار الأجانب والمصريين في القاهرة،ومعاونيهم من الأسرة المالكة والموظفين،وانضم إليهم عدد من أساتذة كلية الهندسة والمقاولين الذين رأوا أن نجاح " فلسفة" حسن فتحي المعمارية سوف يقضي على مصالحهم؛فأهملته الحكومة،وتعرض للاضطهاد في كليته،وطلب إحالته إلى التقاعد.

إن حسن فتحي يرى أن أهم مشكلات المعمار والإسكان في الدول الفقيرة كمصر تكمن في الفوارق الرهيبة بين القدرات المادية والدخل السنوي للأهالي وتكاليف البناء، مما يؤدي إلى عدم القدرة على بناء العدد الكافي من المساكن التي يحتاجها أفراد المجتمع، فيحظى بالمساكن من يملكون تكاليفها، وتبقى الأغلبية الفقيرة بلا مأوى، إلا الأكشاك أو الخيام أو التكدس كل عشرة أفراد في شقة من حجرة واحدة وصالة، مما يؤدي بدوره إلى مشاكل اجتماعية نفسية لا نهائية.

موسيقى الشعر عند سيد البحراوي

انشغل الناقد الراحل الدكتور سيد البحراوي (رحل عن عالمنافي 15 يونيو 2018) بموسيقى الشعر على مدى نصف قرن،وموسيقى الشعر من أهم عناصر التشكيل الفني في قصيدة الشعر،غير أن هذا العنصر لم يحظ بالاهتمام الكافي عبر تاريخ الشعر العربي كله منذ العصر الجاهلي حتى النصف الثاني من القرن العشرين.

ومنذ أن قنن الخليل بن أحمد القواعد الأساسية لوزن الشعر في القرن الثاني الهجري ،وحاول البلاغيون الإشارة إلى بعض الظواهر الصوتية المؤدية إلى التنافر أو الانسجام في أبيات الشعر،لم يُضف جديدا سوى الشروح والتعليقات،حتى جاء العصر الحديث ،ومعه بدأ بعض الشعراء والنقاد حركة للبحث عن مبرر راثي لموسيقى جديدة حاولوا أن يقدموها في الشعر العربي،لكنها لم تنضج وتؤت ثمارها إلا في أواخر النصف الأول من القرن العشرين. ومع هذه الموسيقى الجديدة بدأت حركة جديدة مختلفة لدراسة موسيقى الشعر العربي.

بدأت هذه الحركة باتجاه البحث عن وظائف ما عرف بعلمي العروض والقوافي وبعض محاولات اللغويين والبلاغيين في دراسة الأصوات،مع محاولة توسيع إطار القواعد الجافة الجامدة للعروض،ويتمثل هذا الاتجاه في كتابي الدكتور إبراهيم أنيس :" موسيقى الشعر"،و" الأصوات اللغوية". وتواصلت الحركة باتجاه البحث عن فهم شامل لموسيقى الشعر العربي ،وعن عناصر جديدة لم يذكرها القدماء،وبدا أنها ذات تأثير خطير مثل ظاهرة النبر وكانت البذور الأولى راجعة إلى الدكتور محمد مندور في مقاله" الشعر العربي غناؤه وإنشاده" الذي نشره سنة 1943 في مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ،ويمثل قمة هذه الحركة كتابا الدكتور شكري عياد " موسيقى الشعر العربي"،

والدكتور كمال أبو ديب " في البنية الإيقاعية للشعر العربي".والكتاب الأولى يحاول أن يقدم فهما شموليا لموسيقى الشعر العربي،لا المتمثلة في العروض والقافية فقط،بل في عناصر أخرى ربما كانت أخطر وأهم ،مركزاً على الأسس التي يمكن أن تدرس بناء عليها الموسيقى الشعرية،وعلى الوظائف الخطيرة الكامنة فيها.أما الثاني فهو محاولة جادة للبحث عن بديل للعروض الخليلي،يقوم على أساس من النبر،بدلا من" كم" التفاعيل كأساس جوهري عند الخليل.

ويرى الدكتور سيد البحراوي أن هذه الدراسات – كل في حدود أهدافه-إضاءات هامة لفهم العروض العربي،سواء في الجزئيات،أو في بعض الكليات والأصول،غير أن معضلتها الأساسية هي أنها بقيت في الأغلب الأعم – كأعمال رائدة- في حدود الإطار النظري،ولم تجاوزه كثيرا إلى الدراسة التطبيقية،التي هي من وجهة نظر البحراوي المحك الوحيد لصحة النظرية أو خطئها،هذا بالإضافة إلى أن هذه المعضلة جعلتها- مثل كثير من دراسات النقد الأدبي المعاصرة في العالم العربي،أقل فائدة بكثير ،بالنسبة للتطور العلمي في هذا الفرع،مما لو طبقت على الواقع الشعري. ورغم أن هذه الدراسات قد ارتبطت تاريخيا بحركة الشعر الجديد " أو الحر"إلا أن فائدتها له لم تكن بحجم تمرده على العروض العربي،معتبرة إياه، الممثل الشرعي الوحيد لإيقاع الشعر العربي(القديم على الأقل).

وإذا كانت ماهية الشعر ترتد إلى ماهية اللغة كظاهرة صوتية،فإن وظيفة الموسيقى في الشعر ترتد إلى وظيفة اللغة كظاهرة اجتماعية،فاللغة ليست مجرد مجموعة من الأصوات تلتقي لتكون لحناً أو ضوضاء تحاكي بها أصوات الطبيعة ولكنها في المقام الأول مجموعة من الأصوات تلتقي لتعكس حاجة البشر إلى التواصل.

فالشعر ليس مجرد إشارة لغوية،بل هو أكثر من ذلك،إنه حياة وتجسيد لحياة عميقة وكثيفة.فهو لا يقر الحقائق ولكنه يصورها،وهو لا يخبرك بها،ولكنه يدفعك بها ويثيرك- من الداخل- كي تنشط إلى حياة أفضل وعالم أسعد.ولا يستطيع الشعر أن يحقق هذه الوظيفة إلا بهذا التنظيم غير العادي للأصوات .. أي بالإيقاع – وحده- هو الذي يستطيع أن يحمل المشاعر والأفكار العميقة المتميزة والصادقة؛لأنه إشارة طبيعية إلى عمق الانفعال .

ويطرح التراث العربي شكلا أساسيا لموسيقى قصيدة الشعر. هذا الشكل هو شكل الوزن الواحد والقافية الواحدة ،دون إمكانية تغييرهما داخل القصيدة الواحدة. ولقد ظل هذا الشكل أساسياً حتى العصر الحديث،حيث حمل لواءه الإحيائيون،وإن كان بعضهم قد حاول أن يخرج جزئياً من إطاره،كما يتبدى في شعر شوقي المسرحي وبعض شعره الغنائي،وفي المحاولات التي قام بها الزهاوي لتقديم الشعر المرسل منذ أوائل القرن العشرين.غير أن قداسة هذا الشكل بدأت في الاهتزاز تحت تأثير الدعوات الجديدة التي حمل لواءها المجددون من الشعراء منذ خليل مطران ثم شعراء الديوان وشعراء أبوللو،والتي كانت تدعو إلى الخروج على هذا الشكل الموسيقي التقليدي" الجامد" إلى شكل أكثر تحرراً واتساعاً لرؤى مختلفة من الرؤى الإحيائية، تنظر إلى الشعر نظرة مختلفة" نظرة تقديس" كما يرى الدكتور محمد مندور" تأبى أن تسخره لأغراض الحياة الزائلة،فلا تملق لعظيم،ولا مجاملة لخطير،بل نقد للحياة أو صياغة فنية لتجربة بشرية يحياها الشاعر إزاء نفسه أو إزاء مجتمعه.

وقدم البحراوي دراسة عن موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو أشاد فيها برؤية أحمد زكي أبو شادي رائد الجماعة بالحرية التي ينطلق منها أبو شادي في نظرته الجديدة للشعر ،حيث نادى بإطلاق الحرية للشاعر في استخدام القوافي والبحور وتحضر ثنائية " الشكل والمعنى" التقليدية في رؤية أبي شادي الذي يفضل المعنى على الشكل ،فالمعاني الشعرية هي التي تبحث عن ثوبها اللفظي وليس الثوب هو الذي ينبغي أن يسيطر عليها.

العقاد .. الأكثر حضورا رغم الغياب

لا يزال عباس محمود العقاد الأكثر حضوراً رغم الغياب ، حيث ولد العقاد في مدينة أسوان 28 يونيو 1889 ، ورحل عن عالمنا بالقاهرة عام 13 مارس 1964.وإذا سألت ما وجه الشبه بين هتلر والعقاد ونهرو وطه حسين وعبد الرحمن الرافعي وإيليا أبو ماضي .. وعميد المؤرخين الإنجليز توينبي،وأديب فرنسا كوكتو .. ثم هؤلاء الفلاسفة هيدجر الألماني ومارسيل الفرنسي وفتجنشيين النمساوي ،والمازني، والشاعرة الروسية أخماتوفا والممثل شارل شابلن والزعيم الهندي نهرو .. لا توجع دماغك سوف أقول لكم في عيارة واحدة : لقد ولدوا جميعاً في سنة 1889 .

دخل العقاد المدرسة بأسوان وكان مشتهراً بالتقدم في دروسه إلا أنه ترك الدراسة بعد حصوله على الشهادة الابتدائية. وانكب على كتب الأدب يقرؤها مشتغلاً بالتدريس وقد بلغ من نبوغه أن الامام محمد عبده زار المدرسة وقرأ ما كتبه الطالب العقاد فأعجب بذلك وقال: ما أحرى أن يكون هذا كاتباً بعد. وأصدرت دار الهلال للعقاد أول كتبه «خلاصة اليومية» عام 1912 وكذلك الشذور عام 1913هـ والإنسان الثاني عام 1913م. وفي عام 1913 م أصدر عبدالرحمن شكري الجزء الثاني من ديوانه فكتب له العقاد مقدمة قيمة. وفي عام 1914م قدم الجزء الأول من ديوان المازني. وجاء دور العقاد ليخرج أول دواوينه عام 1916م وهو «يقظة الصباح». وقد احتوى الديوان على قصائد عديدة منها «فينوس على جثة أدونيس» وهي مترجمة عن شكسبير وقصيدة «الشاعر الأعمى» و«العقاب الهرم» و«خمارويه وحارسه» و«رثاء أخ» و«ترجمة لقصيدة الوداع» للشاعر الاسكتلندي برنز، ومن ذلك اليوم شجر الخلاف بين أقطاب الأدب.

فالجميع متفق على مكانة العقاد في النثر والنقد إلا أن شاعرية العقاد كانت مثار الخلاف فمنهم من يرى أن لشعر العقاد مكانة عالية ومن أولئك د. طه حسين وإبراهيم عبدالقادر المازني وعبدالرحمن شكري وعبدالرحمن صدقي وعلي أدهم وسيد قطب. ومنهم من رأى أن الرجل متوسط القامة في الشعر من أمثال مارون عبود ومحمد مندور.

وتقوم الحرب العالمية الأولى وينفى سعد من البلاد وتتوثق صداقة العقاد مع زعيم الوفد ويصبح كاتب الوفد الأول ويصيب شهرة مدوية في البلاد. وفي هذه الأثناء رجع شوقي من المنفى وبدأ العقاد في تأليف كتاب «الديوان في النقد والأدب».. للهجوم على شوقي وقد اشترك المازني معه في تأليف الكتاب الذي صدر عام 1921م، وقد بدأ العقاد في الهجوم على شوقي متناولاً قصيدة شوقي في رثاء مصطفى كامل وهي قصيدة مطولة. وقد حاول العقاد تأصيل منهج حديث لنقد الشعر يقول العقاد: اعلم - أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها وان ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه وإنما مزيته أن يقول ما هو ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به".وأصبح الكاتب ذائع الصيت واسع الشهرة في أنحاء العالم العربي ويصل صوته جهيراً إلى أدباء المهجر من أمثال ميخائيل نعيمة الذي أرسل إلى الشاب العقاد كتابه «الغربال» ليكتب له مقدمته فيوافق العقاد وتصدر الطبعة الأولى في دار الهلال. وفي عام 1922م أصدر العقاد كتابه «الفصول». وقد وضع الكاتب قلمه في ركاب سعد زغلول والثناء عليه.

وفي عام 1926م وقع الأديب العقاد في حب سارة وهو حب عاثر وقد سجلها العقاد بعد ذلك في قصته «سارة». التي قيل إنها الفنانة الراحلة مديحة يسري، وأحب العقاد في نفس الوقت مي زيادة التي كان يتردد على صالونها،

وانتهت القصتان بألم مرير عاشه العقاد طوال حياته. وقد رثى حبه مع مي بعد أن علم بهيامها بجبران خليل جبران.

وبدأ العقاد مقالاته في البلاغ الأسبوعية منذ صدورها سنة 1923م فكتب مقالاً أسبوعياً حتى عام 1929م وفي أثناء هذه المقالات توفي سعد زغلول صديقه. وأصدر كتابه «ابن الرومي» الذي نال إعجاب النقاد والقراء.. وبعد شهر من صدور الكتاب أدخل العقاد السجن بتهمة العيب في الذات الملكية. فلبث في سجن قرة ميدان لمدة تسعة أشهر. وكان العقاد فى فترة سجنه قد أصيب بالتهاب فى الجهاز التنفسى لازمه بقية حياته وظل يستخدم كوفيته الشهيرة بعد خروجه من السجن أثناء الإصابة بالبرد، وكان عندما يصاب بنزلة البرد يهرع إلى أسوان للاستشفاء.

أخرج العقاد من الشعر عشرة دواوين ، أشهرها" وحي الأربعين" الذي أصدره وهو في الأربعين من العمر،وأثار في حينه معارك سميت باسمه،وكان الشعر ملكته الأولى، وألهم الشعراء والمحبين رغم محاولة البعض تجريده من الشاعرية والكتابة،وألصق به تهماً غريبة،وهل يستوعب العقل أن العقاد غير شاعر أو شاعر عقلاني.وأصدر من النقد عشرات الكتب،ومن الرواية والسير والتراجم والعبقريات،وبحوث الفلسفة والتاريخ والفكر ما يشهد بعبقريته.

أما ندوة العقاد الشهيرة فكان يحرص على حضورها مثقفو العصر، ومنهم الشاعر كامل الشناوى، وأنيس منصور، ولورا الأسيوطى، وروحية القلينى، وحمدى إمام، وصلاح طاهر، وخليفة التونسى.. وغيرهم. ومن الطريف أن فرقة «آخر ساعة» بقيادة الدكتور فرحات كانت تقدم فاصلا فكاهيا بالندوة التى كانت تبدأ من التاسعة صباحًا وحتى الثانية عشرة ظهرًا (ويحضرها عامة الناس)، وكانت تقدم فيها القهوة وعصير الليمون للجميع، أما المقربون والزوار القادمون من أسوان فكان لهم حق تناول الغداء، ثم كانت تعقد ندوة للخاصة بعد صلاة العصر تمتد إلى وقت العشاء.

عزيز أباظة . شاعر كبير ظلمه عصره

عاش الشاعر عزيز أباظة بين عامي 1889و1973 (ولد في 3 أغسطس عام 1889) ولد في قرية " الربعماية" التابعة لمركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، وكان والده محمد عثمان أباظة باشا عمدة في مستهل حياته وصاحب أرض ثم اصبح عضوا في مجلس شورى القوانين،وفي الجمعية التشريعية. وتفتحت عيونه على بيئة أدبية شديدة الخصوصية فأعمامه وأبناء عمومتهم،كانوا يسكنون القرى المجاورة لقريته،وكانت لهم جميعاً عناية باللغة والأدب والشعر بصفة خاصة وكان يحضر هذه المجالس شاعر النيل حافظ إبراهيم ، والشيخ عبد العزيز البشري ،ومحمد صادق عنبر وغيرهم. وكان قد خلّف خمس مجموعات شعرية ،أولاها ديوانه " أنات حائرة" الذي نشره في حياته عام 1943،ويضم قصائده وبكائياته في زوجته الأولى التي رحلت عام 1942 وكانت قد هيأت له حياة سعيدة وعلاقة حب من طراز نادر (وهو أول ديوان في الشعر العربي يخصصه صاحبه لبكاء زوجته وقد تابعه في هذا الأمر شاعران هما عبد الرحمن صدقي وطاهر أبو فاشا)، وقد كتب بعض قصائده في مصر ، والبعض الآخر في مكة والمدينة حين قصدها حاجاً سائلا الله أن يلهمه الصبر ويقوي عزيمته ليقوم على رعاية أبنائه بعد رحيل زوجته. ويرى أباظة أن هذا الديوان يمثل بالنسبة له حالة من حالات السمو الروحي سواء رضي عنه الناس أم لم يرضوا .أما المجموعات الأربع الأخرى فقد جمعها ونشرها صديقه الفنان أنور محمد- بعد رحيله بعام واحد- وهي:" من الشرق والغرب،وتسابيح قلب،وفي موكب الحياة،وفي موكب الخالدين" بالإضافة إلى مجموعة أخيرة أبدعها في أخريات أيامه وعنوانها:" إشراقات من السيرة العطرة".

ولعزيز أباظة تسع مسرحيات شعرية حققت له مكانة في إبداع المسرح الشعري،باعتباره القمة أو القامة الثانية بعد أحمد شوقي الرائد الأول لهذا الفن الشعري في العربية، وصنع أباظة صنيع أستاذه ومثله الأعلى أحمد شوقي في استلهام التاريخ ليكون إطاراً لمسرحياته،وهي : قيس ولبنى (على غرار مجنون ليلى لشوقي) ،والعباسة،والناصر، وشجرة الدر،وغروب الأندلس،وشهريار،وقافلة النور،وقيصر.أما " أوراق الخريف" فمسرحية عصرية.

وفي هذه المسرحيات يتجاوز عزيز أباظة الأفق الدرامي لأحمد شوقي،ويتفوق في إحكام رسم الشخصيات المسرحية،والتعمق في تصويرها،وتحرره من الوحدات التقليدية الثلاثة:الزمان والمكان والحدث.وإن لحقت به التهمة التي وجّهت من قبل إلى شوقي وهي طغيان النزعة الغنائية،لكن شوقي يحتفظ بفضل السبق والريادة وصنع النموذج والمثال.

ولقد أتيحت لعزيز أباظة حياة رخيّة،في ظل أسرة كبيرة ميسورة،وتعليم أوصله إلى التخرج في كلية الحقوق عام 1923 واشتغل بالمحاماة لمدة عامين ،ثم التحق بخدمة النيابة العمومية سنة 1925.و عاش أباظة حياة اجتماعية أدبية حافلة،أتاحت له أن يكون قريباً من رموز عصره من الكتاب والشعراء والمفكرين – أصدقاء أعمامه- من أمثال الشيخ عبد العزيز البشري وشاعر النيل حافظ إبراهيم ومحمد السباعي،ومثله الأعلى في الشعر وأستاذه فيه أحمد شوقي،الذي كان يعده خليفة له،كما كان يأخذ بيده ويوجهه في سنوات إبداعه الأولى،عندما لمس فيه نبوغه المكبر وموهبته الشعرية البازغة،وتمكنه من لغته التي يبدع بها،ويعبر عن أشواقه وخلجات وجدانه؛نتيجة لاطلاعه الواسع،وتمثله لكتابات كبار الأدباء والشعراء القدامى والمحدثين.وسوف تلازمه هذه الصفة المميزة" تمكنه من اللغة"،وخاصة بعد حصوله على عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة،ومشاركاته في قضايا اللغة والثقافة العربية طوال سنواته المجمعية على مدار أربعة عشر عاماً،

تناول فيها قضايا المسرح الشعري،ولغة الشاعر والفصحى والعامية من زاوية جديدة.كما قدم دراسة عن المستعرب الألماني (إنّو ليتمان) عندما خلفه في عضوية المجمع،وقد استقبله العقاد الذي سبقه إلى المجمع بقوله:" إنه اهتم بالقدرة ولم يهتم بالتقدير،فلم يعرف الراصدون هذا الكوكب إلا وهو في برجه الأسمى،قد جاوز جانبي الأفق،وأصعد في سمت السماء".

وكان أباظة يرى أن أعظم شعراء العالم هو "ت. س. إليوت" ومات. أما أعظم شعراء العرب فكان شوقي ومات أيضاً.

وعن سبب خلافه مع حركة الشعر الجديد شعر التفعيلة" هو خلو شعرهم من الوزن والنظم وهذا لا يمكن أن يعتبر شعرا، لقد تساهلنا جداً فيما يتعلق بالقافية وأصبح من حق الشاعر أن ينتقل من قافية لأخرى كيفما شاء، ولكنه يرفض أن يكون شعرا.ويذكر أباظة أن الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي زاره كثيرا في منزله ليقرأ له قصائده وقصائد زملائه الجدد ، لكنه اكتشف أن حجازي لا يستطيع أن يحفظ قصيدة واحدة من الشعر الجديد غير شعره.

فريد الأطرش .. موسيقار الشرق

يعد الموسيقار فريد الأطرش موهبة موسيقية ذات سمات شرقية أصيلة ،فإذا كان دواود حسني ومحمد عبد الوهاب وزكريا أحمد يضعون الألحان التي شق سيد درويش فنان الشعب الطريق إليها ،فإن فريد الأطرش جاء لينفرد بلون يجمع فيه بين شرقية مصر، شرقية لبنان، شرقية بلاد الرافدين،وشرقية كل بلد عربي.

وألحان فريد مميزة في لونها ،يستطيع المستمع التعرف عليها بسهولة ويسر ويحفظها ويرددها بعد الاستماع إليها مرات قليلة،فموسيقاه عربية خالصة.كان اللحن عند فريد لا يستغرق دقائق في تلحينه له،كان ينتهي منه في زمن محدود،إذا ما قورن بغيره من الملحنين ،وهذا دليل على عبقريته الخارقة.

صور فريد في أغانيه الكثير مما كان يعانيه في حياته من مواقف حزينة ،سواء في مرضه،أو وحدته،أو صدماته العاطفية مثل: "بحب من غير أمل"،" أحبابنا يا عين"، "عذاب عذاب .. ليه يا دنيا عذاب"،"وحداني حاعيش كده وحداني" ،وغيرها، وهذا لا يمنع من ظهور بعض أغانيه التي عبر بها عن أجواء تعكس سعادته مثل:" يا فرحتي باللي بحبه"،" الربيع"،" يا زهرة في خيالي" ، وغيرها.

كان فريد متمكنا من أدواته الموسيقية على الرغم من عدم دراسته للموسيقى بالقدر الكافي .كان اعتماده الكلي على الفطرة والموهبة التي ولد بها.. إلى جانب الخبرة التي اكتسبها باحتكاكه الدائم بكبار الموسيقيين والمطربين. تأثر فريد باللون الشعبي،المصري والشامي واللبناني،فأدخل في أغانيه الكثير من الإيقاعات الشعبية الراقصة،وظهر ذلك جليا في بعض أغانيه مثل:" ما قالي وقلت له"،و" سافر مع السلامة" .

وترى الدكتورة رتيبة الحفني أن فريد كان يتمتع بصوت جميل يحتوي على اثني عشرمقاما سليما من القرار إلى الجواب.وكان يُظهر في أغانيه ما تتمتع به موسيقانا من ثراء في المقامات والضروب العربية " الإيقاعات" ،وكان فريد يؤمن بأن العالمية لن تتحقق إلا بالحفاظ على أصول موسيقانا وطابعها ،فكان يختار المقام المناسب لكل أغنية ،والذي كان يتماشى مع معاني الكلمات،فيترجم المعنى باللحن والأداء.

فيروز .. كيفك أنتِ؟

في غمرة انشغال العالم بأسره بطبول حرب عالمية ثانية،ولم يمض على الأولى سوى أعوام قليلة في زمن " قحط" الاستعمار،وتطلع الشعوب للانعتاق والحرية والسلام،في أثناء صعود تيارات عالمية جديدة على مستوى الفنون والآداب،أثناء ذلك كله جرى حدث استثنائي،سيغير مجرى نهر الغناء،ليجعله واحدا من المنبع إلى المصب.ولدت فيروز كحدث استثنائي في منطقة تجرعت عذابات الاحتلال والحروب العرقية والطائفية والدينية،وعانت الفقر والجهل والمرض.

في 21 نوفمبر 1935 ولد الصوت الخرافي المغسول بالضياء. ولدت نهاد حداد التي ستصبح لاحقا فيروز،ولد ذلك الصوت الرهيب الذي يركض حافياً متسلقاً جبال لبنان،وهابطاً أوديته،مثقلاً بالحزن الرصين،ومعبأ بفرح نادر.الصوت الذي لا يُجارى،صوت الدغل والحنطة وصخور الجبال وانثيالات العاطفة.الصوت الآتي من بعيد البعيد،من أعماق الكون،الصوت الذي يصغي له عمق الكون،الصوت الذي يعبر كالسهم من الروح إلى الروح،دونما حاجة إلى جسر من موسيقى،فهو في حد ذاته موسيقى.الصوت الذي لم يحمل قط سوى السلام والحب،وكأنه يهدهد الأرواح فوق حجره،ويحلق بها إلى حيث لا حرب ولا كره ولا شقاء.

قهوة الصباح

فيروز ومنذ بزوغ نجمها أضحت" طقساً" يومياً للملايين،لا يحتسون قهوة الصباح إلا وهم مسافرون مع صوتها،ينفضون عن أنفسهم التعب،ويتكئون على موسيقى من حرير.لا تغرب شموس مساءاتهم إلا وهم مغموسون في أغنياتها،لا تطيب أطياف الحبيبة إلا بحضور الصوت الفيروزي،لا تصح تأملات عاشقة إلا وفيروز حاضرة بكل بهائها.

في مقاهي طنجة،وخلف مشربيات القاهرة،وراء شرفات ابو ظبي،في منحدرات جبال لبنان وقرى العراق،في شوارع الخرطوم والجبال الشاهقات في اليمن،في مسقط وعمان،في باريس ولندن،في كل زاوية تنطق حرف الضاد،ينثال صوت فيروز صباح مساء،عابراً الأزمنة والأمكنة،ومؤكدا على قيمة الفن العظيم حين يعانق فضاءات الروح

فيروز التي راحت باديء الأمر تبحث عن ذاتها،وكأنها كانت مدركة موهبتها الكبرى،تفجرت عبقريتها حين التقت الأخوين عاصي ومنصور الرحباني.معهما كانت بدايتها الفعلية في عام 1952،وهما، من ناحيتهما،عرفا بغريزتهما الفنية أنهما عثرا على "كنز" بكل ما تحمله الكلمة من معنى.ومع تدفق الأغنيات،خفق القلب أيضاً.فيروز وعاصي عبرا من مجرد تعاون فني عظيم إلى الامتلاء بالآخر والحاجة إليه،وكانت قصة حبهما وكأنها أغنية خالدة يعزفها موسيقي بارع وفنانة أسطورية.

ثمرة قران فيروز وعاصي في عام 1955 كانت ابنين وبنتين أشهرهم زياد الذي سار على درب والده في التلحين.وفي العام 1957 نالت فيروز وسام الاستحقاق من رئيس الجمهورية اللبنانية،كميل شمعون،تعبيراً عن عرفان بلادها لها،واعترافا بموهبتها الفذة التي كرست لها حياتها في التزام صادق بالفن الخلاق،والعبقرية التي كانت لابد أن تُرعى.

وأعجوبة فيروز الكبرى إلى جانب الصوت الخرافي ،هي أنها لم تبعد أبداً عن غناء قصائد بسيطة،إنما عميقة،بسيطة في لغتها،عميقة في معانيها لأنها عبرت عن حكايات الناس العادية،الفلاح البسيط الذي يشتاق إلى حبيبته وهو يبذر بذوره وهو في رحم الأرض ويسقيها وينتظر خصبها،الفلاح الذي تمتد حياته فقط بين شجرة الزيتون وحبيبته،ويعبرها على جسر صوت فيروز،العاشقان اللذان افترقا وتحطم حبهما على صخرة الظروف ثم راحا يبحثان عن روحيهما طوال سنوات،على الرغم من أن كل واحد منهما أضحى له عدد من الأبناء،لكنه الحب الذي تعبر عنه فيروز بروحها وحنجرتها وكل ذرة إحساس فيها.عاشق الوطن الذي يحلم بشوارع القدس العتيقة،ورائحة أمه،وخبز فلسطين وزعترها.

إنها فيروز التي تعجن أغنياتها من طحين البسطاء،وتضع عليه غباراً سحرياً ليستحيل شيئا لا يصدق ولا يرد،يعشقه الوزير والخفير،الأم والطفلة،العاشق والمقاتل،الفلاح والطبيب،التلميذ وربة المنزل.إنها فيروز التي تمشي أغنياتها،مثل السحر،مثل ضوء الصباح،مثل الغسق،في شوارعنا،بين أنفاسنا،في حقولنا ومصانعنا،في ميادين معاركنا،في كل تفاصيلنا،شيء تسرب في العظم،واستوطن الأنسجة،مثل دواء صرفه طبيب ماهر في وصفات تشفي آلام الروح ووجع القلب،إنها فيروز أجمل الطفلات،وأرق المبدعات.إنها فيروز علامة على زمن كامل بكل انتصاراته وانكساراته لكنها أجمل ما فيه.إنه زمن فيروز،سيدة الوقت وسيدة الغناء.

محمد حسين هيكل .. صاحب أول رواية عربية وسيرة نبوية موثقة

محمد حسين هيكل الكاتب والمؤرخ والمفكر والناقد السياسي والفلسفي ،ورجل السياسة المصري البارز ،يعد واحداً من ألمع رواد الجيل الثالث في ثقافة النهضة المصرية والعربية المعاصرة وصاحب المساهمة الرئيسية الأولى في ثلاثة مجالات على الأقل من مجالاتها: فهو مؤلف أول رواية عربية حديثة وهي رواية" زينب" الصادرة عام 1914، نشرها اول مره بتوقيع " مصري فلاح " و كانت اول رواية مصريه تتحول لفيلم سينمائي سنة (1928) .وهو مؤلف أول سيرة سيرة نبوية تخضع لمعايير البحث التاريخي العلمي تكتب بالعربية في العصر الحديث (حياة محمد) الصادرة عام 1935 ،وهو صاحب أول دراسة تاريخية جغرافية ثقافية للأراضي المقدسة في اللغة العربية تخضع لمعايير البحث العلمي الحديث(في منزل الوحي) الصادرة عام 1937 .

غير أن لمحمد حسين هيكل ،كمفكر سياسي وفلسفي عقلاني ومترجم دوراً تأسيسياً في الثقافة العربية الحديثة لا يقل أهمية،سواء بكتاباته عن رواد التنوير الفرنسيين أقصد كتابه عن جان جاك روسو الصادر في ثلاثة أجزاء في أعوام: الجزء الأول صدر عام 1921، والثاني عام 1922، والثالث عام 1927 . وكتاباته عن " جدلية العلاقة بين القديم والجديد في اللغة والآداب العربية" التي جمعت في كتابه" ثورة الأدب" الصادر عام 1933 ،ويمكن القول بأن أسسه الفكرية جمعت بين عقلانية التنوير الفرنسي في القرن الثامن عشر والليبرالية الغربية في القرن التاسع عشر ،وفقه أهل السنةمع عقلانية المعتزلة وتحفظ علماء الكلام المسلمين.

ولد محمد حسين هيكل في إحدى قرى محافظة الدقهلية قرية كفر غنام التابعة لمدينة المنصورة في 20 اغسطس عام 1888 بشمال مصر لأسرة ثرية من المزارعين والتجار،وبدأ تعليمه في كُتاب القرية بحفظ بعض سور القرآن الكريم،وتعلم شيء من اللغة والحساب. ولكنه انتقل إلى التعليم المدني منذ بلغ السابعة من عمره، ودرس القانون والاقتصاد في مدرسة الحقوق الأهلية المصرية التي تأسست قبل إنشاء الجامعة المصرية،وتخرج منها عام 1909،وسافر لاستكمال تعليمه في فرنسا فحصل على درجة الدكتوراه في القانون والاقتصاد السياسي من جامعة باريس عام 1912 وكان موضوع أطروحته بعنوان" دين مصر العام". ويبدو مما كتبه عنها،أو كتبر أخرون أن إعداده لهذه الرسالة ساعده على انضاج تصوراته الفكرية ومواقفة السياسية والثقافية حتى نهاية حياته فمن خلالها اكتشف أهمية كل من علم التاريخ والعلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر،واكتشف أن الحرية الاقتصاية والحريات السياسية والفكرية" كل لا يتجزأ"،وأن" العدل" يتحقق بتكافؤ الفرص أمام القانون وليس بتدخل الدولة؛في الوقت نفسه تبين مبدأ ضرورة الالتزام بالنظام العام وأن" التمرد" عليه يؤدي إلى الفوضى والانتكاس .ومن مثلت وحدة التاريخ ووحدة الحريات والتغيير في داخل إطار النظام العام،استخلص هيكل رؤيته أو فكرته عن " وحدة الشخصية القومية للأمة" وعن الأعراض السلبية،التاريخية، السياسية الاقتصادية، الثقافية التي يمكن أن تصيبها بالاختلال أو الضمور.

وفي التطبيق العملي تكاملت هذه الرؤية أو الفكرة عمليا أثناء حياته،في مختلف الوظائف والأدوار،فقد اشتغل بالمحاماة في عاصمة مديريته أو محافظته" المنصورة" وبدأ يكتب للصحافة بجريدة" الجريدة" التي أسسها أستاذه ورائده الأول أحمد لطفي السيد، الذي اتصل به و تأثر بأفكاره و التزم بتوجيهاته ، كما تأثر بالشيخ محمد عبده و قاسم أمين و غيرهم

وفي كتبه الإسلامية التاريخية الأربعة المهمة عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصديق أبي بكر، وعمر وعثمان " ذي النورين" يكملها" في منزل الوحي" تبنى الرؤية الإيمانية وهو يستخدم منهجا عقلانيا وضعيا صارما،على أساس أن الرؤية الإيمانية السنية تقوم على الفهم الصحيح للإسلام كدين سماوي سمح وإنساني وأن الرؤية الإيمانية هي أيضا جوهر الثقافة القومية،دون تجاهل العوامل الاجتماعية والثقافية في تكوين المجتمع الإيماني الجديد وفي كتابه عن جان اك روسو يبين " بديهية" مباديء القانون الطبيعي وتعبيرها في وقت واحد عن حقيقة جوهر كل من الطبيعة والإنسان والمجتمع والدولة . وفي كتابه" ثورة الأدب" وضح مبدأ وحدة التناقضات – أي وحدة القديم والجديد- في التاريخ العام والتاريخ الثقافي والأدبي وفي الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة" الشرق الأوسط اليوم" أوضح خطورة تصعيد العنف للإنقلاب على النظام العام وأهمية التماسك الاجتماعي والعقدي لازدهار مجتمع متعدد الأجناس والأصول الثقافية واللغوية، وهي رؤية فريدة أسسها علميا ومعرفيا ومنهجيا كما فعل في كتبه عن النبي والخلفاء الثلاثة مما جعلها تضاهي أفضل ما كتبه المستشرقون في هذه الموضوعات المثيرة للخلاف،وفي كتاباته السياسية والقانونية العديدة وعلى رأسها مقالاته في صحيفة السياسة الأسبوعية خلال الفترة من 1923 حتى 1933 وفي غيرها من الصحف حتى العام 1953 والتي جمعت في كتاب تحت عنوان" الشرق الجديد" عام 1962،أوضح الإمكانية العملية لتطوير الحريات العامة بأنواعها في ظل ثقافات أخرى، شرقية غير الثقافة الغربية " في اليابان والهند" وضرورة هذا التطور الحر لكي يقوم المجتمع الحر والدولة المستقلة والثقافة القومية القادرة على تحقيق التقدم ،دون الأعراض التي تقترن بالاختلال والفوضى والانتكاس.

محمد شفيق غربال أول أستاذ للتاريخ في الجامعات العربية

يعتبر محمد شفيق غربال(1894- 1961) رائد مدرسة علم التاريخ الحديث في مصر والعالم العربي،وأول عالم تاريخ مصري يعين أستاذاً للتاريخ الحديث في الجامعات المصرية (عام 1935)وصاحب مدرسة" التوثيق" والاعتماد في كتابة التاريخ على الوثائق وحدها سعياً لإظهار حقيقة ما حدث دون تدخل من جانبه رغم أنه مؤسس التيار الرئيس لفلسفة التاريخ السائدة في المدرسة التاريخية المصرية داخل المؤسسة الأكاديمية وخارجها على السواء.

التيار الذي صاغه في كتابه عن" تكوين مصر عبر العصور" عام 1957؛ ورأى فيه أن البشر هم الذين يمنحون الموقع ملامحه،وأهميته،ويحددون دور" موطنهم" الحضاري"عن طريق نوع استجابتهم لتحديات الطبيعة والتدخلات " التاريخية" وأن عملية صنع التاريخ تتداخل فيها العوامل الثقافية والعوامل المادية،ورأى أن العملية التاريخية نتاج تفاعل متواصل بين اختيارات واندفاعات وإنجازات" الجموع"وبين إرادات"أفراد" بعينهم يصبحون رموزاً،أو قادة وزعماء وصفوة،بفضل إبداعهم لأنواع جديدة من الحلول للتحديات القائمة أو المستجدة أمام المجمتع.

ولد محمد شفيق غربال في الإسكندرية القديمة بحي يحمل اسم عائلته (حي غربال) وكانوا من المزارعين والتجار ،وبدأ تعليمه في مدرسة " تحضيرية" قبل إنشاء المدارس الأولية،كانت "كُتاباً " وتحولت إلى مدرسة مجانية،واختلط فيها أسلوب التعليم الحديث بالتعليم القديم في الكتاتيب؛ولكنه تحول إلى التعليم الحكومي الرسمي فحصل على شهادة البكالوريا(الثانوية العامة الآن) ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا التي أوفدته عام 1915 في بعثة إلى إنجلترا ليتخصص في التاريخ الحديث من جامعة ليفربول التي حصل منها على بكالوريوس الاجتماعيات والتاريخ .

وبعد عودته وعمله سنوات قليلة في التدريس بالمدارس الثانوية بالإسكندرية أرسل في بعثة ثانية إلى جامعة لندن التي تتلمذ فيها على يد المؤرخ البريطاني الكبير أرنولد توينبي الذي منحه شهادة الماجستير بعد أن أشرف على رسالته التي كانت بعنوان(مصر بين عهدين: بداية المسألة المصرية وظهور محمد علي).وعاد غربال إلى مصر عام 1924 بعد أن طبعت رسالته بمقدمة كتبها توينبي،وأشاد فيها بمنهج تلميذه،واستنتاجاته الخاصة بتأثير حملة نابليون بونابرت على كل من مصير السلطنة العثمانية ومصر والشرق العربي وعلى السياسات الأوروبية إزاء المنطقة.

ولدى عودته عين أستاذاً للتاريخ بمدرسة المعلمين العليا ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1929 أستاذاً مساعداً للتاريخ الحديث إلى أن أصبح في عام 1935 أستاذاً لكرسي هذا العلم،خلفاً للمؤرخ البريطاني الكبير (ج.جرانت) فكان أول أستاذ مصري للتاريخ الحديث في الجامعة المصرية.وفي بداية عام 1939 انتخب عميداً لكلية الآداب خلفا للدكتور طه حسين وظل في الجامعة حتى بداية عام 1945 ، وتم اختياره مستشارا لوزارة المعارف ثم وكيلا للوزراة غير أنه أصر على مواصلة عمله أستاذا غير متفرغ بالجامعة،فنقل لفترة قصيرة إلى وزارة الشئون الاجتماعية ثم أعيد إلى وزارة المعارف التي بقي بها حتى بلغ سن التقاعد في عام 1954.

ورغم كل ذلك، وربما بسب نشاطه العلمي العام لم يترك شفيق غربال أعمالا مكتوبة كثيرة،كتب، بعد رسالته المطبوعة والتي ترجمت في مصر إلى اللغة العربية عام 1928 ،فكتب: " المفاوضات المصرية : من 1920 إلى 1936"،و" الجنرال يعقوب والفارس لاسكاروس" عن أول مشروع مصري للاستقلال بعد الحملة الفرنسية؛وحقق كتاب المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي" مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس" وذلك قبل سنة واحدة من صدور كتابه الفلسفي المهم:"تكوين مصر عبر العصور"

الذي رأى فيه أن لمصر شخصية حضارية خاصة صاغها المصريون في بداية تاريخهم الطويل ،أنهم أعادوا صياغة كل من الثقافة اليونانية/ الرومانية،ثم الديانة المسيحية ،ثم الثقافة الإسلامية بما يتلائم مع تلك الشخصية الحضارية القديمة التي أذابت ما وفد عليها ولم تذب فيه، وإن كانت قد تغيرت بفضل تفاعلها مع الوافدين ،ومع محيطها الثقافي في جنوب غرب آسيا وفي جنوب وغرب أوروبا. واكتشف غربال أن الوحيدين الذين وفدوا إلى مصر فأخذوا منها بعض الأشياء ولم تأخذ منهم شيئاً هم اليهود.

يوسف إدريس .. ملك القصة القصيرة المتوج

ولد يوسف إدريس في إحدى قرى محافظة الشرقية لأسرة من متوسطي المزارعين تضم كثيرين من المتعلمين الأزهريين والأفندية،وتعلم في المدارس الحكومية وتخرج في كلية الطب من جامعة القاهرة عام 1951 .وأثناء دراسته الجامعية منذ العام 1945 ،عايش ظهور التيارات الفكرية والسياسية الوطنية والديمقراطية واليسارية التي ازدهرت في مراحل الكفاح من أجل الاستقلال الوطني والحكم الدستوري منذ الثلاثينيات وتضاعف الاهتمام في تلك التيارات بالعدل الاجتماعي الذي تأثرت قضيته طويلا بالفكر الماركسي التقليدي بعد أن قوى تأثيره بسبب دور الاتحاد السوفياتي السابق في الحرب العالمية الثانية وانتصاراته العسكرية على النازية وتحالفه مع القوى الديمقراطية .

ظهرت أول قصة ليوسف إدريس عام 1950 تحت عنوان" أنشودة الغرباء" وكان الأدب القصصي المصري آنذاك يتردد بين نزعة وجدانية انفعالية تزعمها محمود تيمور ونزعة طبيعية تميل إلى التطبيق الحرفي لأفكار مدرسة علم النفس التحليلي وعلى رأسها محمود البدوي ،ولكن يوسف إدريس أعاد اكتشاف الميزات الرئيسة لما عند توفيق الحكيم في" يوميات نائب في الأرياف " من قدرة على تحويل حقائق الحياة وجزئياتها الفعلية إلى صورة واقعية ودالة على تفاعل خاص بين إنسان فرد أو متفرد لا شبيه له وبين قوى اجتماعية لا تتكون من تجمع الأفراد ،وإنما تنشأ من تفاعل عناصر وعوامل أكبر من هذا التجمع وجاثمة فوقه .

وحينما نشر إدريس أول مجموعة قصصية له " أرخص ليالي" عام 1954 وضع البداية الفعلية للواقعية المصرية دون تمهيد نظري،وفي توجه مختلف لما كانت تنقله حركة " النقد الأيديولوجي" أو النقد" الواقعي الاشتراكي" . وحين أصدر مجموعته التالية" العسكري الأسود"عام 1955،كانت موهبة فريدة قد تفجرت .موهبة تجمع بين سمات دستويفسكي وسمات كافكا معا. موهبة تملك قدرة الجمع بين تحليل الواقع الاجتماعي العام أثناء تصويره المكثف والكشف عن كل من قوانينه المنطقية واللامنطقية في وقت واحد ،بين"عادية" الإنساني فيه ووحشية اللاإنساني وبين جموح الإنسان المتفرد خارجه ورضوخه الاضطراري داخله :كانت هذه واقعية تنفي" واقعية النمط" التقليدية وتؤكد واقعية الاستثنائي وغير المعترف به كشيء مألوف .

ويرى الناقد الراحل محمود أمين العالم أن القصة القصيرة في كتابات يوسف إدريس هي لحظة إنسانية مكثفة مركزة .قد تكون لحظة عابرة ،ولكنها لا تكون أبداً لحظة هامشية طفيلية هشة، فهي لحظة دالة مضيئة تفرش دلالتها الضوئية على مساحة أكبر منها.

وتوالت مجموعاته ورواياته لترسخ هذا الكشف الإبداعي ، ومن رواياته" قصة حب، الحرام، العيب" إلى أن أصدر مجموعته التاريخية" لغة الآي آي" لكي يحقق من خلالها انقلاباً لفت الأنظار في مسيرته الإبداعية ؛ففيها صار الاستثنائي هو الوحيد الممكن،والتقليدي غير منطقي وشبه مستحيل،ولا مبرر عقلي لأي من وجهي الواقع: الاستثنائي والتقليدي . غير أن اللغة أو النسيج اللغوي ظل كما هو أقرب إلى رفع الدارجة المصرية" القاهرية" إلى مستوى الفصحى دون التزام بقواعد أي من اللهجتين؛فاللغة في الإبداع الأدبي جزء من إبداع الكاتب نفسه.

أما قصة " النداهة"تصور المدينة بالغول بالنسبة للقرويين وهي طاحونة أحلامهم صور لنا إدريس في النداهة بعضا من هذه النمطية وهي حقيقية لكنه تمرد عندما هربت بطلة الرواية من زوجها العائد الى القرية بعد انهيار أحلامه الذي جاء بعد اغتصاب زوجته ففي سكة الحديد قررت البطلة القروية العودة إلى المدينة رغم كل ما حدث وهذا الموقف التقدمي للراوي يعبر عن مدنية الحياة وتطورها وأن المدينة هي حاضنة التقدم.

أهم مايميز عالم يوسف إدريس القصصي هو سيادة الثنائيات المتجادلة المتداخلة المتشابكة ،وهي ثنائيات تشمل كل شيء من تفاصيل وقائع الحياة الإنسانية وقضاياها الأساسية ،ففي مسرحية" الفرافير" هناك ثنائية العلاقة بين المجتمعي والكوني ،بل بين الذاتي والكوني التي نجدها في قصته القصيرة" أكبر الكبائر" .وهناك ثنائية العلاقة بين النداء الداخلي والقانون الوضعي الخارجي كما في قصته الصغيرة" فوق حدود العقل" أو بين النداء الداخلي والتقاليد السائدة مثل قصة" النداهة" أو بين الظاهر الموحد والباطن المتعدد المختلف مثل قصة" العصفور والسلك" أو بين العام المسيطر والخاص الحميم مثل قصة " الخدعة"،أو بين روحية الفن وفقر الواقع المادي كما في قصة" في الليل"،و" مارش الغروب" ،أو بين الواقع والمثال مثل" جمهورية فرحات" أو بين الأسوار الطبقية والجنسية والعاطفية كالسجون والعادات والقيم الجامدة وبين مواجهتها بالحلم أو التمرد أو الاستسلام كما في قصة" مسحوق الهمس"أو قصة" دستورك يا سيدة" وغيرها. وكذلك العلاقة بين القاضي الغني والخادمة الفقيرة في قصة" قاع المدينة"،أو مثل نسبية الحقيقة في وجدان كل فرد،وإطلاقيتها الأخلاقية في وجدان الجماعة كما في مسرحية" المهزلة الأرضية"وهناك بشكل عام ثنائية العلاقة بين الرجل والمرأة التي تتخذ في أدب يوسف إدريس تجليات مختلفة.

الإسلام وأصول الحكم لا يوجد أساس شرعي للخلافة

يلعب الدين دوراً حيوياً في بعث الطمأنينة والاستقرار خلال فترات الأزمات ،وكان لغياب الخليفة العثماني أثر كبير في حرمان الحركة الإسلامية من قوتها المنظمة وثقلها السياسي،وابتداء من أوائل العشرينيات وما تلاها من أعوام لم يشهد العالم الإسلامي زعيما بارزاً يمكن أن يلتف حوله بقية المسلمين عقب إلغاء الأتراك للخلافة في مارس عام 1924 ،وأصبح المسلمون تحت وصاية الأوروبيين.وشعر المصريون بالنهاية الفادحة للنهاية التي آلت إليها الخلافة، فقال أحمد شوقي:

الهند والهة ومصر حزينة   تبكي عليها بمدمع سحاح

حتى بالنسبة للأوساط العلمانية ،كان للحدث أهمية رمزية كبيرة باعتباره علامة على انتهاء مرحلة تاريخية مهمة في العالم الإسلامي ،والرابطة الوحيدة في الحاضر،بالرغم من أنها غير ملموسة ،لكنها تربط المسلمين في جميع أنحاء العالم في إطار جماعة إسلامية واحدة.

في هذه الأجواء صدر كتاب" الإسلام وأصول الحكم"عام 1925 للشيخ علي عبد الرازق ، الذي أصدرت مؤسسة أخبار اليوم طبعة جديدة منه مؤخراً ،أحد قضاة المحكمة الشرعية المغمورين آنذاك، الذي شن هجوما جذرياً على كل من الوضع المحدد للخلافة والفهم الإسلامي التقليدي لطبيعة المؤسسات السياسية الإسلامية ،الأمر الذي فجر واحدة من أكبر المناظرات الدينية / السياسية التي شهدتها مصر خلال فترة ما بين الحربين.

المقولة الأساسية في الكتاب هي عدم وجود أساس شرعي للخلافة الإسلامية . ولم يقوده بحثه في القرآن والسنة إلى أي أساس واضح للمؤسسة، وقد اصطدم مبدأ فصل الدين عن الدولة بحقيقة أن الدين الإسلامي قد جمع منذ الدولة الإسلامية الأولى بين الممارستين والقيادتين الدينية والسياسية في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي أسس هذه الدولة في المدينة.

وهو يرى أن المصادر القرآنية إما سكتت أو كانت غامضة،فيما يتعلق بقيادة الجماعة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.ويرى عبد الرازق أن الخلافة كانت نكبة على الإسلام والمسلمين ،وينبوع شر وفساد ،لأنها كانت مفروضة إما بالقوة أو الخديعة بعد جيل الخلفاء الراشدين ،انطلاقا من رغبات البشر لا اعتمادا على تعاليم الإسلام" لقد فشا بين المسلمين منذ الصدر الأول،الزعم بأن الخلافة مقام ديني،ونيابة عن صاحب الشريعة عليه السلام" ويضيف عبد الرازق:" كان من مصلحة السلاطين أن يروجوا ذلك الخطأ بين الناس حتى يتخذوا من الدين دروعاً تحمي عروشهم وتذود الخارجين عليهم"

ويرى عبد الرازق أن الوحدة التي تحققت على يد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت وحدة دينية لا سياسية ، والمسلمين المحدثين أحرار في تنظيم شؤونهم" على أحدث ما أنتجت العقول البشرية"؟ فالعرب يشكلون أمما مختلفة سواء في عهد النبي أو بعد ذلك. فكانت وحدة العرب في العهد النبوي وحدة إسلامية لا سياسية ،"وكانت زعامة الرسول فيهم زعامة دينية لا مدنية ، وكان خضوعهم له خضوع عقيدة وإيمان ،لا خضوع حكومة وسلطان" كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لحق بالرفيق الأعلى من غير أن يسمي أحداً يخلفه من بعده، ولا أن يشير إلى من يقوم في أمته مقاما، بل لم يشر عليه السلام – والكلام لعبد الرازق- إلى شيء يسمى دولة إسلامية،أو دولة عربية. ويدعو الكتاب إلى الفصل التام بين " الدين" و" الدولة" في الإسلام ،فيما يتعلق بالمؤسسات السياسية التقليدية للجماعة الإسلامية صراحة،وضمنيا فيما يتصل بمجمل الشريعة. كما أن الإسلام لا يمنع التقسيم السياسي للعالم الإسلامي إلى وحدات قومية .

ويخلص عبد الرازق إلى أن الإشكالية الأساسية في معظم دول العالمين العربي والإسلامي لا تكمن في العلاقة بين الدين والسياسة،ولا في انفصالهما أو ارتباطهما ،بل هي الأساس في توظيف الدين لخدمة السياسة ؛أي توظيف الثابت لخدمة المتغير،وارتهان الدين بكل ما يملك من قوة روحية هائلة إلى عالم السياسة

بكل ما يتسم به من مناورات ومساومات وصفقات،وفي ذلك إساءة إلى الدين وإرباك للسياسة بحكم ارتهانها لثوابت يصعب الالتفاف حولها أو الفكاك منها، وهي التي تتسم بالتغير المستمر وتتطلب قدراً كبيراً من المرونة.

وتتمسك جماعات الإسلام السياسي بأن نظام الخلافة هو الشكل الأساسي المقبول للحكم،فالمجتمع الإسلامي في العهد الأول لا يزال يقدم إلهاما وأجندة عمل للجماعات الدينية السياسية من دون اجتهاد فقهي يأخذ في الاعتبار تطورات القرون التالية لذلك العهد،بحيث يبدو المجتمع الإسلامي متفاعلا مع عصره ومستوعبا لتطوراته ومتغيراته ،وتستخدم معظم هذه الجماعات الإسلام عقيدة للمعارضة ؛إذ تطرح نظام الخلافة كصيغة للحكم،ومن ثم يصبح الدين وسيلة أو أداة للحكم أو المعارضة السياسية.

إحسان عبد القدوس .الكاتب الديمقراطي

كتب إحسان عبد القدوس (1 يناير 1919- 12 يناير 1990) القصة والرواية والمقالة وحولت معظم اعماله الى افلام ومسلسلات عاشت في وجدان الجماهير المصرية والعربية

اكتسبت الرواية على يد إحسان عبد القدوس صبغة ديموقراطية ، بمعنى أنها جعلت جمهور القراء كله على مستوى واحد تقريباً يتلصص من خلال تجاربه القصصية المتعددة والبانورامية على جراح وأزمات المجتمع المصري خاصة طبقاته المتوسطة والشبه أرستقراطية ،وخبايا وأسرار مجتمع السادة ،وأصحاب النفوذ السياسي والاقتصادي قبل ثورة يوليو 1952 وبعدها.

والسؤال هنا : كيف عرى وهتك إحسان عبد القدوس هذه الأسرار والسلوكيات المرضية وصورها في قصصه العديدة التي تشكل خطا رئيسا في جميع أعماله التي تتابعت منذ خمسينيات القرن الماضي مثل: النظارة السوداء، وشيء في صدري، ولا أنام حتى التسعينيات والتي نشرت في صحيفة الأهرام. كتب إحسان في مقدمة قصة " الساعات الأخيرة قبل الغروب": كثير من القصص التي كتبتها ترسم شخصيات من المجتمع الذي كنا نطلق عليه قديما لقب" أولاد الذوات" وهو مجتمع يمثل طبقة الرأسمالية والإقطاع ولكن هذه الطبقة لم تنته واستمرت حتى اليوم ،وإن كانت قد تغيرت أسماؤها وألقابها وقد مرت مرحلة انتقلت فيها هذه الطبقة إلى النظام البيروقراطي ،وتغيرت بالتالي الألقاب التي يحملها أفرادها.فلم تعد " باشا" و" بيه" و" صاحب الرفعة" ولكنها أصبحت السيد " الوكيل الأول"، و" المدير العام" ،و" رئيس مجلس الإدارة" و" العضو المنتدب" ،ثم انتقل المجتمع إلى مرحلة أخرى اتسعت فيه هذه الطبقة فأصبحت أغلبيتها من رجال الأعمال ،وإني أؤمن بأن الوسيلة الوحيدة للحد من خطورة هذه الطبقة ،هي أن نعيش بينها.. أن نبرز أخبارها في الصحافة ،وأن تبرز شخصياتها في القصص.. المهم أني عندما أعرض هذه القصص لا أقول رأياً، وإنما أسجل لوحة إجتماعية".

ولكن هذا التحفظ لا يعني أن التصوير والعرض القاسي الصريح لا يتضمن رأياً وقصداً اجتماعياً محدداً. وكعادة إحسان يسلط الضوء على السقوط الجنسي للمرأة ، وربما يتسرع البعض فيصمه بالجرأة والخروج عن اللياقة الاجتماعية ،ولكنه يريد أن يقول إن هذه الطبقة يسيطر عليها منطق سوق البورصة والملكية الخاصة النفعية والتطفل والتي تحيل عاطفة وآدمية المرأة إلى سلعة رخيصة.

وفي قصة" شيء في صدري" يقدم تحليلا موسعا لسلوكيات أحد كبار الرأسماليين ورجال الأعمال قبل الثورة وانتهازيتها وانتهاك الحرمات وتصفية الحسابات مع الماضي بطريقة خسيسة.وفي مجموعة" النساء لهن أسنان بيضاء" يكشف عن جوانب التحلل والادعاء لسيدات المجتمع الراقي اللاتي يؤسسن الجمعيات الخيرية لتكون ستارا لممارسة الفسق والفجور، مثل نموذج سميرة هانم وعلاقتها بشريف عبد العزيز ومرفت هانم واحتقارها للمستفيدين من التبرعات التي تجمع باسمهم.

وفي رواية" لا شيء يهم"التي تقوم على ثلاث شخصيات تجسد واقع مجتمعنا حتى الآن : الرجل الذي يعيش في الخيال،والرجل الذي يلتزم المباديء الوطنية،والرجل الذي يعيش الواقع بلا مباديء.وقد سلط إحسان الضوء على هذا الرجل الأخير لأنه أخطر النماذج، ولأنه يرى فيه كافة الذين يغيرون جلودهم حسب الظروف، ويركبون موجة كل مرحلة متظاهرين بأنهم أصحابها،وهم في الحقيقة أصحاب تطلعات فردية ،وليس صحيحا أنه قصد بها رجلا معيناً،ولكنه قصد نموذجا حاضراً في كل العصور.نموذج سبق أن صوره قبل الثورة" صانع الحب وبائع الحب"و" الخيط الرفيع" ، و" شيء في صدري"،وبعد الثورة صوره في " لا شيء يهم"،وبعض قصص مجموعة " الهزيمة اسمها فاطمة" والتي نشرتها صحيفة الأهرام عام 1974،هذا النموذج الذي التقطته عدسة إحسان عبد القدوس،لا يزال موجوداً في المجتمع.

ويرى إحسان أن انشغاله بقضايا المرأة ليست تهمة،فهو يدافع عن حرية المرأة،وهوجم بسبب ذلك،وكانت أحد دوافعه في البداية مستمد من تفرد تجربة والدته" فاطمة إليوسف"،هذه السيدة التي أثبتت وجودها في عالم الرجال ،ونجحت في فرض نفسها عليهم،وحققت ما لم يستطع كثير من الرجال أن يحققوه.وقاده هذا الموقف إلى التوغل في حياة المرأة المصرية،والاهتمام بتحليل العواطف والأحاسيس في المجتمع المنقسم على نفسه،والمتخبط ما بين قيمه الراسخة وقشور الحضارة الغربية.ولم يغب عن باله أنه سيواجه بكثير من الصياح والضجيج والقذف بالطوب.

كان إحسان صديقا للرئيس عبد الناصر الذي منحه وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وأيد بعض قرارات عبد الناصر مثل إنشاء السد العالي ولكنه اختلف مع المجتمع المصري الذي كان يتوق إليه . ولخص إحسان صورة هذا المجتمع عندما أجرى مقارنة بين مصر قبل ثورة يوليو وما بعدها ،فقاله في حديثه للكاتبة الصحفية نادية خليفة لمجلة صباح الخير" إن عبد الناصر استطاع أن يهدم مجتمعا،ولكنه لم يستطع بناء المجتمع الجديد المختلف".وبخصوص دخول الجيش المصري في اليمن ، والوحدة مع سوريا فقال:" دخول مصر حرب اليمن خطأ فيما يتعلق بإمكانات مصر ،ولذلك فشلنا في اليمن وفشلنا في سوريا.. ونظراً لهذه الأخطاء المتراكمة كانت النتيجة الطبيعية هزيمة يونيو 1967".

المؤلف فى سطور



الاسم : خالد بيومي عبد المولى شحاته وشهرته (خالد بيومي)
كاتب صحفي وناقد ,ومحرر ثقافي في صحيفة روزاليوسف اليومية .مواليد : 7 نوفمبر 1972 بمحافظة كفر الشيخ (شمال الدلتا) – الحامول- قرية الزعفران

العنوان الحالي:

القاهرة – المقطم – الهضبة الوسطى – الحي السابع- مشروع فايف ستار عمارة 2 شقة 6

عضو نقابة الصحفيين المصريين

الخبرات السابقة :

العمل في صحيفة الخليج الإماراتية (مكتب القاهرة) بالقسم الثقافي خلال الفترة من 2005 - 2012

محررفي مجلة المرأة اليوم الإماراتية مكتب القاهرة) خلال الفترة من 2009 حتى 2012 يكتب في صحيفة الحياة السعودية و مجلات: تراث الإماراتية ، والشارقة الثقافية والرافد الإماراتية ، ومجلة العربي الكويتية ، ومجلة الثقافة الجديدة المصرية عمل مستشارا ثقافيا ومحررا أدبيا لدار نشر أنباء روسيا بالقاهرة وورئيس تحرير لموقع أنباء روسيا 2015-2017.أجرى مئات الحوارات مع المثقفين والمبدعين والمفكرين المصريين والعرب من المحيط إلى الخليج، وأدباء المهجر. كما كتب عشرات المقالات النقدية في الصحف والمجلات والمواقع الإلكترونية.

صدر له كتابان :

1- أهم مائة شخصية على مستوى العالم

2- أهم مائة امرأة عربية

له تحت الطبع

- نور الشريف آخر الرجال المحترمين
- الشاعر والإرهابي
- الاستشراف في أعمال وحيد حامد
- أحمد عتمان ... رائد الكلاسيكيات في العالم العربي

البريد الإلكتروني:

odabaalmahrosa@gmail.com

محتوى الكتاب